سوق الكلام

مسرح

سوق الكلام
مسرح
مصطفى عطية جمعة

الطبعة الأولى: 2016
رقم الإيداع: 2016/19003
ISBN: 978-977-802-041-0

دار النسيم للنشر والتوزيع
ت: 01006229487
e mail: daralnassim@yahoo.com
دار النسيم للنشر والتوزيع

المدير العام: **أشرف عويس**
إشراف فنى: **د. هند سمير**

سوق الكلام

مسرح

مصطفى عطية جمعة

مونودراما
بنت الجزّار

(دهليز فسيح [ساحة] يتوسط بيت شعبي قديم في مصر، تطل عليه أبواب لغرف مغلقة، وهناك بعض النوافذ الخشبية المطلة عليه، حيطانه مقشرة الصبغ تشي بقدم البيت، ونشاهد- في ركن قصي- الباب الخشبي الكبير للبيت، وفيه مزلاج حديدي. في ركن آخر، هناك مقاعد من الخوص، وبعض الشجيرات الذابلة. تغدو "هند" وسط الدهليز، مرتدية جلابية منزلية، وهي سيدة في أواخر الثلاثينيات، ذات جمال، وفي يدها بعض الأساور الذهبية، وقد علت وجهها علامات القرف والضيق. تقف وسط الدهليز، متلفتة يمينًا ويسارًا، وهي تنادي على خادمتها بعصبية، وبصوت عالٍ، هو المعتاد في كلامها).

- تفيدة.. تفيدة، يا بنت يا تفيدة، آه من الخدامة لما الدنيا ترفعها وتجرّي الفلوس في يديها، وتُلبسها الذهب أقراطا، وتجعلها تشتري الجديد الجاهز، الله يرحم أيام عباءاتي التي لبستْها حتى تمزقتْ خيوطها على جثتها، وهي التي كانت تشتكي لطوب الأرض فقرَها، وضربَ زوجها لها، وتحلف وتقول: لولا المعلم خليفة- أبي- كان عيالي جاعوا.

(ترفع كفيها) الله يرحمك يا أبي، ويرحم أيامك، كل من عاشرك أو خدمك أو اشتغل معك؛ تنعّم بخيرك، وتمرغ في كرمك.

(تنظر لنفسها ولعودها الممتلئ) أنا هند بنت المعلم خليفة، سيد الجزارين كلهم، وأكبر تاجر للحم الممتاز فيكِ يا بلد، ولكنه الزمن، دار دورانه، مات أبي، وتفرق إخوتي الرجال الستة، كل واحد في جزارته أو تجارته، مشغول بعمارته وامرأته، وأنا هنا، في البيت القديم، مع أمي العجوز، ننتظر الست تفيدة، تأتي لخدمتنا حسب مزاجها، ولو اعترضتُ عليها تقلب وجهها، وتغيب أسبوعًا حتى يرجعها أخي الكبير الحاج

حسنين. أقول لكم، الدنيا دارت.. بل تشقلبت، وتشقلبت بي أنا، ولما أعترض على أخي وأقول له إنها في النهاية خدّامة نأتي بمئة غيرها، ينظر لي حسنين ويسألني: من تتحمل أمك؟ لا تنسي أنها عجوز تحتاج من يسندها لدورة المياه ويغير ثيابها، وأنت نفسك يا هند لا تطيقين خدمة أمك، وتزعقين فينا أن نحضر واحدة من نسواننا لخدمتها، رغم أنك ابنتها الوحيدة. **(تضحك عاليًا، وتضرب بيدها الهواء، وتكمل)** يُزيد أخي أجرة تفيدة ويراضي خاطرها، ويقسم لها أن من غيرها البيت يكون ظلمة، فترجع المرأة، وتسير الأيام.

(تبتسم، وإن لم يغادر الضيق محيّاها) آه منك يا حسنين، طيب، ولكن كلامك أشواك، ولما أعترض عليك تضحك وتقول لي: طول عمرك يا هند دلوعة أبيك المعلم خليفة، وضعكِ على رؤوسنا كلنا نحن أولاده الذكور، وكان الناس في الحارة يضربون كفوفهم عندما يرونك تسيرين بجانبه، ونحن نسير خلفه، ولما يسألونه: البنت في البيت يا معلم خليفة، وليست تسير معك وبجانبك. كان يضحك ويقول: لو عندكم بنت مثل هند ستعذروني. ويضحك وهو يقول: أنا أسميها "ست أبوها" و"قمر الزمان".

(تعود للنداء) يا تفيدة، يا تفيدة، آه يا بنت الـ...، لا داعي للشتيمة.

(تتطلع إلى باب البيت والحيطان) العمارات حولنا، والنسوان والبنات ما بين الحكايات عن الناس، والفرجة على المسلسلات، وكل الحريم مرتاحة في الشقق، تنتظر أي كلمة تسمعها، حتى يعجنوا حكاياتهم اليومية بها. آه، لو سمعوني وأنا أشتم تفيدة، لا يأتي الليل إلا والحارة كلها تتحدث، النساء رؤوسهن في الشبابيك يسترجعن حكايتي، وكأنهن لا شغلة عندهم إلا أنا.

(تشير بفخر لنفسها وصوتها يرنّ) وهن يعرفن جيدًا "هند"، ولما كانت أي بنت أو امرأة تسقط تحت يدي؛ والله أشرشحها في الحارة، وكما يقولون في الأمثال "أخلّي اللي ما يشتري يتفرج"، كل هذا وأنا أحافظ على طرحتي على رأسي، فلا أكشف شعري، ولا أحد يشوف ذراعي، ومصيبة المصائب لو رجل وقع تحت لساني، يا داهية عليه وعلى من يفزع معه.

(تتذكر وابتسامة ظفر تتخاتل على شفتيها) والحارة كلها شهدت خناقتي مع فتحي، ابن بيت الصاوي، الوقح، ظن أن المعلم خليفة قد مات، وعياله هجروا الحارة، وأن الحريم فقط في البيت، فجعل الساحة قدام بيتنا موقفًا لعربته و"موتوسيكلات" عياله، كلمناه بالذوق، ونصحه أخي ياسين بدون فائدة، قلت في نفسي: هذا يحتاجني أنا.

(تضحك وهي مستلذة بالاسترجاع، وتواصل) وكانت ساعة العصرية، كل الناس في الحارة صحت على صوتي، وفتحي نفسه نزل من قيلولة الظهيرة، "عرقه مرقه"، يلحق ابنه مني، حاول يرد عليّ وهو واقف في وسط الشارع، وواضع ذراعيه في وسطه، وقال: عشنا وشفنا النسوان ترد على الرجال، هاتوا الرجالة من عندكم، نتكلم معهم.

(تضرب بكفيها) قلت له: نعم يا "شنبه"، رجالنا لو جاءوك ستزحف على بطنك أنت وعيالك، نسيت أننا بيت المعلم خليفة، تذكر أن صبيانه كانوا طوابير وراءه، وعياله الواحد منهم بمئة من عائلتك، وهذه المرة لم يطلع لك رجل من عياله، ولكن بنته "هند" التي تصدرت لك. **(تضرب على صدرها)** أنا هند، يا ليتك تعرفني من الآن.

(تحكي) وكانت فرصة لي، لأنّي كنت لمحت نظرات غير طبيعية منه ناحيتي أكثر من مرة، أعرفها أنا بخبرتي مع الرجال، فقلت في نفسي:

فرصة يا هند، يتأدب من كل ناحية، ويعرف أني أنا بنت الجزار، الذين يتحاكون بجمالي وعنادي. **(يشتد ضحكها)** والله سمعت بأذني- التي سيأكلها الدود- النسوان يمصمصن شفايفهن تحسرًا على الرجولة الواطية، وأنا ألعب بالرجل لعبًا بكلامي، وأمسح به أرض الحارة: عاليها وواطيها، وأجبرته أن يحرك عربته وموتوسيكلات عياله، ويركنها بعيدًا في آخر الحارة، وكل الرجال كانت تقول: الله يرحمك يا معلم خليفة، عزيز في حياتك ومماتك.

(تواصل وهي تتمشى ببطء) ولما حضر إخوتي كانت الخناقة منتهية، ولم يستطع فتحي أن يرفع عينه فيهم، وكل الناس المتجمعة حكمت لصالحي، لأني لم أنزل من بيتنا ولم أتحرك من شرفة منزلنا. بعدها أغلق فتحي وعياله بيتهم عليهم، وكل واحد منهم قفاه طوله شبر و"يقمّر العيش" عليه.

دخل إخوتي، وجلسوا، وشربوا الشاي، وسمعوا مني، وضحكوا، وقال أخي ياسين: والله يا هند أنت بألف رجل، ولا نخاف عليك أبدا. أنتِ حافظت على بيت العائلة وجعلت الناس كلها تسترجع ذكرى والدنا. أكملتُ أنا عليه: وجعلتُ كل واحد في الحارة يلزم حدوده، ويعرف أن بيت المعلم خليفة عامر، وما عاش من يظن أنه ينقفل أي يوم.

(تصمت، وتعود إلى حديثها الأول ذي الشجون) آه، كانت أيامًا، وكنت عارفة لماذا يطلب مني أبي أن أسير بجانبه وأنا رائحة للمدرسة أو خارجة أتسوّق، لأن عينيه طوال مشيه على الشباب، فقط لو يلمح واحدًا ينظر لي يكون يومًا أغبر عليه وعلى كل من يتشدد له في الشارع، ورغم أن أبي طيب، لكن لو شاب رمش لي ينقلب كالوحش، ويضربه بنفسه، بعكازه الأبنوسي، حتى يتعلم الأدب.

وصرت أنا بنت الجزار، الحلوة الدلوعة، وعلى رأي أبي: مهرك يا هند لمن يزنك ذهبًا. كنت أضحك وتضحك أمي بجانبه، وتقول له: لا تبالغ يا معلم- الله يخليك- هند مغرورة بطبعها، ودلالك لها زائد عن الحد، بأطقم الذهب، وأغلى الفساتين.

يرد أبي ضاحكا ومصممًا: وأنا متمسك بشرطي، من يتزوجها لابد أن يزنها بالذهب، ولن أتراجع يا أم حسنين. ثم ينظر لي، ولجمالي، ولشعري الطويل إلى منتصف ظهري، ويقول: أنت تشبهين أمي- الله يرحمها- يا هند، لذا، أسميتك على اسمها.

تعود أمي وتحلف: والله يا معلم كوب الشاي لا تعرف تعمله، كيف ستخدم زوجها وعيالها؟ يرد عليها أبي: وهذا شرط آخر على العريس، ألا يتزوجها إلا وخادمتها في بيته، أنا ابنتي تتنعم بالتبر والحرير.

(تنتبه، وتصرخ على الخدامة) أين أنت يا تفيدة يا أم الشؤم؟ كنت تنتظرينني على باب المدرسة الإعدادية، ساعة خروجي منها، حتى تحملين الشنطة عني وتمشين خلفي، وزميلاتي معي، والحسد طافح من عيونهن، فأغيظهن أكثر وأخبرهن أن وراءنا واحد من صبيان أبي في المحل، يحرسني من المعاكسات، فتهمس لي زميلتي وجارتي "آمنة": ارحمي نفسك يا هند، كل بنات المدرسة يضعنك في ألسنتهن حسدًا.

فأضحك أكثر، وأُسمعها بصوت عالٍ: ربنا أعطاني الجمال والمال، ماذا أفعل؟ أرفض النعمة. وأحكي لها عن شروط أبي لمن يتزوجني. فتتعجب آمنة وتقول: وكأنك السفيرة عزيزة التي سمعنا عنها حكايات، ولم نرها. فأرد بكل قوة: أنا لا سفيرة ولا عزيزة، أنا هند خليفة، الله يطول عمر أبي، وتحكي كل البلد عن عرسي.

(تنبسط سحنتها) آمنة الآن تسكن في حي قريب، مع زوجها وعيالها،

تبتسم من قلبها لي إذا قابلتها في الشارع وهي راجعة من سوق الخضار أو خارجة مع واحد من عيالها، وتحلف أن أزورها، فأنظر إلى أكياس الخضار وإلى وجهها الحنطي الطيب، وأتعجب من الدنيا، وأقول: الجميلات مائلات البخت، والحظ معاندهن.

تسمعني أمي وترد عليّ: عقلك السبب.

(تبتسم وتتساءل) عقلي هو السبب؟ أنا لم أختر زوجي، أبي اختاره، لما كثر الخطّاب، وتزاحموا على الباب، ترك أبي الجميع، كان منهم المهندسون والدكاترة والمحامون، أشكال وألوان، وعائلات ومراكز، والغريب أن أبي تنازل عن شروطه، وخالف توقعاتي أن يأخذ من يزنني بالذهب أو بالماس، وفوجئت به يقبل "صلاح" ابن عمنا، الموظف بالحكومة، أين يشتغل؟ **(تحاول أن تتذكر)** تخّيلي يا بنت يا هند أنني لا أعرف اسم مصلحة زوجي، أقصد طليقي. كل هذه السنين وأنا لا أعرف مكان شغله، والله أنا عبيطة، أتزوج الرجل وأنجب منه ثلاثة، ويطلقني وأنا لا أعرف شغله.

(تضحك، وهي تتمايل وتجلس على أحد كراسي الخوص) ولا يهمك يا هند، المهم جمالك ودلالك، الواحدة منّا ماذا تريد من الرجل؟ المال والستر **(تتنهد)** آه منك يا صلاح، ومن أيامك، صحيح رجل تملأ العين، ولما كنت أمشي معك في الشارع كل العيون تبسمل وتصلي على النبي، فأنا الجمال، وهو سيد الرجال، ونحن الاثنين من عائلة واحدة، يعني النسب الكريم. **(تنقلب سحنتها)** لكنه في النهاية موظف، عيّشني حياة الموظفين، بحبوحة في أول الشهر، وتقتير في آخره، ولما العيّل يطلب منه شيئًا للمدرس في المدرسة كلامه واحد لا يتغير **(تقلّد صوت زوجها الأجش)**: اصبر يا بني أنت ومدرّسك لأول الشهر، أو الشهر القادم مع

علاوات الموظفين.

(تنفخ وتزعق) نشّفت حياتي معك يا صلاح. حياة مملة، يومنا مثل البارحة مثل باكر، والشهور متشابهة بطيئة. ولما كنت أغضب، وأرجع لأبي وإخوتي وأصرخ فيهم، ينقلبون كلهم عليّ، ما عدا أبي، ويقولون: صلاح زينة شباب العائلة والحارة، وأنتِ مجنونة، هو المتعلم وخريج الجامعة، وأنت لم تكملي الثانوية. حتى أمي صوتها يرتفع عليّ، وبدلا من أن تقف معي تعاندني، وتقول لي: عندك ولدان قمران، والبنت شمس، احمدي ربك وربيهم، هؤلاء أمانة في عنقك. تتركيهم لزوجك والرجل من طيبته يخدمهم، وأنت هنا غضبانة عندنا. المشكلة في أبيك وطيبته معك، وهو السبب في دلعك الماسخ، وكل ما تغضبي يحتضنك، ويحلف أنك ما ترجعي له إلا أن يأتي ويطيب خاطرك، وفعلا صلاح كان يأتي بضغط من أبي، ومعه الهدايا التي يشتريها أبي، ويقسم عليه أنه يقدمها بنفسه لي.

(تغير صوتها بغضب متذكرة) أين وعودك يا أبي عن الخدامة؟

(تعود وتضحك) الله يرحمك يا معلم خليفة، فعلا أحضرت الخدامة لي، ولكن صلاح ما تحمّلها، وكان يقول لي: أنا موظف على قدر حالي. أقول له: هذه على حساب أبي، يرفض ويقول: أبوكِ على رأسي، ولكن هذا بيتي.

أحكي لأبي فيتظاهر بالغضب، ويرد: هو قال لك هذا؟ غلطان طبعًا، أنت ابنتي الوحيدة وأنا أريحك والخير في النهاية لك.

(يتغير وجهها) آه منك يا أبي، كنت تحب صلاح وتحترمه، وتقول لأمي: هو الوحيد الذي احتوى ابنتنا. وتعجبك تصرفاته، وتقول: الرجل الشهم لا يقبل أن ينفق أحد على بيته، وكانت أمي تحبك أيضًا يا صلاح.

(تنظر إلى غرفة أمها وتشير إليها) لم أرَ أمّا في الدنيا تنصر زوج ابنتها على ابنتها، وكانت تقول له: ابنتنا هي زوجتك وفي عصمتك، وأنت رجلها وسترها، والله لا نراجعك ولا نردك. ويكفي أنك علمتها الطبيخ، وكيف تقوم بشغل البيت، وترعى العيال، وهي التي كانت تنام بعد الفجر، وتصحو العصر، وتظل قدام المرآة إلى العشاء.

(تعود لضحكها الذي لا نعرف منه فخرًا أم قرفًا، ثم تتوقف وتبتسم بصفاء، فقد تذكرت أولادها، حيث تمسك عقدًا به مصحف متدلٍّ، فتفتحه وتخرج صورة صغيرة، وتشرع في مناجاة الصورة)

حبايب قلبي: حاتم، وطارق، وغادة، زهوري التي تفتحت بهم دنياي. **(تقبل الصورة مرات)** حاتم صورة من أبيه: الطول والملامح والشعر، وطارق وسط بيني وبين صلاح، قمحي خفيف، ووسيم. أما حبيبة قلبي، البنوتة غادة، صورة طبق الأصل مني، وكما يقول الناس عنها: استنساخ لي، نفس المشية والنظرات، والصوت الناعم، والدم الخفيف. **(تصمت قليلا)** وأيضًا نفس الطباع، تعشق المرايا، وتحب الغالي **(تدعو)** ربنا ما يميل بختك يا بنتي مثل أمك، **(كأنها تتذكر شيئًا، فتؤكد)** نعم، نفس طباعي، وستكون مثلي، تجنن شباب البلد كلهم، يتسابقون عليها، والغريب أن صلاح تمسّك بالبنت لأنها أكبر عيالي، ورفض أن يعطيها لي، وقال لإخوتي: إلا غادة، تأخذ الولدين، وتترك لي غادة، متفوقة في مدرستها، والحضانة حقي **(تهتف بعناد مسترجعة الموقف)** أنا صرخت فيهم وقلت بعناد، ساعة الطلاق، والله العظيم إما أن آخذ كل عيالي، أو تأخذهم أنت، وتطلع عيونك في تربيتهم، غادة قبل الولدين. **(باعتراف)** بصراحة إخوتي صمتوا، لا أعلم أهم احتقروني أم احترموني؟ ولكن العناد ركب رأسي، وأنا فعلا عنيدة. قال صلاح ساعتها: أنت تمسكت بالطلاق

وهذا حقك، وأنا متمسك بغادة وهذا حقي، والولدان كما تشائين، لا يزالان في حضانتك. صرخت فيه: لا أريدهم كلهم. قال: براحتك، هم في عيوني، وخدمتهم مسؤوليتي، ولكن اكتبي أوراقًا بالتنازل. **(بأسى)** كتبت، ووقعت، وإخوتي صامتون، وهم يرون أختهم الوحيدة مطلقة، بل هي المرأة الوحيدة في العائلة المطلقة، وعندما رجعت الحارة اكتشفت أنني الوحيدة أيضًا المطلقة، فإذا مشيت في الشارع أغلقت النساء الشبابيك، ومنعن رجالهن من النزول أو المشي.

(تضحك) خائفات من جمالي، **(تقسم)** والله جمالي الحقيقي لو طلع، لجعل رجال البلد الكبار، وكل من عنده شارب، يركع قدامي، ولكن السترة التي أمرنا بها ربنا، وحفظي لكرامة أبي الله يرحمه، وإخواني الله يحفظهم.

(وكأنها تعبت، فبح صوتها وهدأت نبرته)

افترقنا، تزوج صلاح من زميلته في الشغل، كانت أرملة ترعى ولدًا من زوجها الأول، فوافقت على شرط صلاح، أن تخدم عياله وهو يرعى ابنها. بصراحة عيالي لما حكوا لي عن طيبتها أحسست أنها تشبه صلاح.. ما صدقت.

رأيتها مرة، في عرس أحد أبناء عمي، جاءت مع صلاح، جمالها بسيط، تذكرني ببنات المدرسة، المتشابهات في ملامحهن، الحالمات بأي رجل يكون زوجًا طيبًا، يعشن معه تحت سقف وأربعة حيطان تسترهن، ويدفعن الأيام حتى يربين عيالهن. ساعتها تعمدت أن يشاهدني صلاح، ويقارن بيني وبينها من جديد، وفعلا جاء وسلم علي، وعرّفني بها، كانت ملامحه عادية، وهي كذلك. ومرت الليلة.. مثلها مثل كل ليلة، أنا عدت لسكون بيتنا، والريح تصفر في سقفه العالي، وهم عادوا لبيتهم.

(تسترجع بمرارة)

لما تطلقت، تحديت أمي وإخوتي، وقلت لهم: سيأتيني ألف عريس. جاءني الخطّاب واصطفوا على الباب، ورجعت سنين للوراء، عندما كنت بنتًا بضفائر، قررت أن أختار أنا، على مزاجي، فكرت في نقيض صلاح، يكون تحت يدي، وينفذ كلامي، وتركت المَعلمين الكبار، كلهم أرادوني زوجة ثانية أو ثالثة، أسكن شقة فخمة، ويزورني الرجل لما يشعله الشوق، وكل طلباتي مجابة، والشقة نفسها بكل ما فيها باسمي، لكن أنا هند خليفة، أكون زوجة ثانية، والله لا يحدث أبدًا، اشترطت أن أكون زوجة واحدة فقط، لا أقبل شريكة معي، كلهم تراجعوا، حتى إخواني زهقوا مني وتركوني لدماغي، وأنا متأكدة أن العرسان لن تنقطع أرجلهم عني، حتى حدث وتزوجت.

(يعلو ضحكها الساخر) تزوجت من؟ تخيلوا.

"سيّد" المحروس، أقصد "الموكوس"، أخذته بعدما حلف لي أنه لم يتزوج قبلي، وأنني حلم حياته، وأنه تفرغ لتربية إخوته بعد وفاة أبيه، وسألنا عنه وتطمنّا منه وتأكدنا من كلامه.

وآه منك يا سيد، طلعت "السيد قشطة"، كلها ثلاثة شهور وتطلقت، الموكوس تزوج واحدة مثلي كالقمر، وكما يقولون في الأمثال "تحلّ من على حبل المشنقة"، وعرفت لماذا أخّر زواجه حتى تخطى الأربعين، فهو أستاذ في السرية والتكتم، لكن العيون الزائغة أعرفها من بعيد، فما بالكم لو كانت قريبة. **(تمطّ شفتيها مستهزئة)** لم يترك واحدة من نسوان الحي أو حتى العمارة التي سكنّا فيها إلا وبصبص لها، لدرجة أنه طمع في تفيدة. تفيدة يا غبي يا موكوس؟

ولما واجهته وصارحته مثل الأفلام العربية بالعقل والحكمة، أخبرني أنه

طبع فيه واعتذر وترجّاني، وقال: الطبع لا ينفع معه جمال ولا تطبع. رددت عليه بأن الطبع مثل الكلب له ذيل، وأنا لا أقول لك يا "سيد" إن ذيل الكلب لا ينعدل ولو علقت به حجر، ولكنني أقول لك إنك في النهاية كلب، تحتاج حجارة نرجمك بها.

أوجعه كلامي، ورفع يده ليضربني.. يضربني أنا هند، ونسى نفسه، وظن أنني مكسورة الجناح، فكانت ساعة سوداء عليه؛ تفرّج فيها سكان العمارة كلهم على "سيد" الذي صار "سيدة"، وهو يتدحرج على السلالم، ويجمع ملابسه التي ألقيتها له، وهو عريان يستر نفسه، ولكم أن تتخيلوا نهاية القصة.

(تتنهد، وتبتسم، وتتثاءب) كلها ثلاثة أيام ويأتي حبايبي لي، يتغذون معي، ويقضون اليوم، الله يحفظهم.

أعلم أنني كنت قاسية، لكنهم عذروني وعذروا أباهم العاقل، الذي وعّاهم أن الزواج - مثل الدنيا - نصيب، مهما تتقلب بنا، فكله موكول بقدر ربنا.

مسرحية
على واحدة ونصف

المشهد الأول

(شقة صغيرة في حي شعبي بالإسكندرية، مفتوحة الشرفة والنافذة، ونشاهد من خلالهما بعض بيوت الحارة، وفي الغرفة ذات الجدران مقشرة الصبغ، يوجد سرير حديدي قديم، وعليه قماش الناموسية، وأيضًا نشاهد ثلاجة صغيرة، وتلفازًا وجهاز "ستلايت"، ودولابًا كبيرًا للملابس، وتسريحة، وطاولة صغيرة حولها مقاعد خشبية وعليها فازة زهور اصطناعية، وهناك سجادة كبيرة قديمة نوعًا ما، ولكنها نظيفة؛ تغطي معظم أرضية الغرفة، ويظهر من أطرافها بلاط قديم، يغلب عليه السواد، وعلى حوائط الغرفة، هناك صور معلقة محاطة بإطارات ذهبية وفضية أنيقة، وكلها صور لفتيات في أعمار مختلفة، كما نشاهد في أكثر من ركن أشكالا من الطبول والرّق ذي الصاجات، والدفّ، وطبلة كبيرة، بجوارها مطرقات خشبية.

يبدو "منصور" رجلا في العقد السابع من العمر، وسيم الوجه، قليل التجاعيد، وإن كان الشيب يغطي شعره اللامع والمسترسل، ويرتدي جلبابًا بيتيًّا قطنيًّا نظيفًا ومكويًّا، وهيئته دالة على عنايته بنفسه، يجلس على سريره الحديدي، يطالع التلفاز، ويقلب في القنوات الفضائية، متوقفًا عند بعضها، خاصة ما تبثه من أغانٍ قديمة، ونسمع صوت محمد قنديل، في أغنية "بين شطين وميه")

منصور (**مترنمًا بكلمات الأغنية**): "يا غاليين عليّ، يا غاليين عليّ، يا أهل إسكندرية، يا أهل إسكندرية".

(**يصمت ثم يسترجع بحنين**) آه منكِ يا إسكندرية، يا حلوة الحِلوات، وآه من نهاراتك ولياليك، حواريكِ وأزقتك محفورة في ذاكرتي خصوصًا

زنقة السـتات. **(يضحك ويكرر)** زنقة الستات! وعجبي من الاسم وذكراه في نفسي، لما أتمشى الآن في الزنقة وأستمتع بمحلات العطور الحريمي الفواحة بالعطور المركبة، ودكاكين القماش الملآنة بالحرايز و"السّاتان" والقطنيات.

(يطرقع بإصبعيه) وتشوف الستات أشكالا وألوانًا، أم ملاءة لفّ والبرقع على وجهها يرقص، وتشوف الست البلدي بعباءتها الواسعة ولفة الطرحة المحكمة على رأسها، وتشوف نساء البادية القادمات من مرسى مطروح ومن العلمين، وهن يلبسن الملس، وأخيرًا الشقراوات الإفرنجيات، وكلهن يعشقن الزنقة.

(يواصل متنهدًا) وآه منكِ يا إسكندرية، أينما سرتُ في شوارعك يلاعب نسيمك شعري، وتعبق رائحة البحر أنفي، ويا الله إذا مشيت في شارع الكورنيش، أتعمد أن أستنشق الهواء المحمل برذاذ البحر، وصوت الأمواج المتكسرة على المكعبات الإسمنتية يطنطن في أذني، فأتجه للشاطئ، لتغوص أقدامي في رماله، وأستفرد بالليل والسماء والبحر.

(كأنه يشرّح نفسه ويعترف) علّمتني إسكندرية أن أكون وحدي، رغم كثرة أصحابي فيها، أستمتع مع نفسي ما دمت لم أجد من يناسب مزاجه مزاجي، **(وكأنه يتفلسف)** كنت أقول للناس: الوقت في عروس البحر المتوسط تصنعه النوارس والأمواج والهواء، فلن أضيع لحظة مع شخص لا يروقني. فأن تكون وحدك فرصة، وأن تستمتع وحدك نعمة، وقد نفعتني في شيخوختي.

(يتساءل) هل أنا بالفعل في سن الشيخوخة؟ صحيح أنا في التاسعة والستين، ولكن قلبي يعشق الحياة، وذاكرتي كالحجر، كل أيامي محفورة فيها، ولازلت بعافيتي، ولا تزال عروض الزواج من العرائس تأتيني.

(يضحك وهو يتذكر) آخر زواج لي كان من سيدة خمسينية، **(يحاول أن يتذكر)** كان اسمها "نوّارة"، تعرفت عليها عند الخطابة "أم سلامة"، في زيارة لي، طمعت نوّارة المغفلة في مدخراتي ومكافأة نهاية الخدمة التي أضعها في البنك، أو هكذا أقنعتها الخطابة "أم سلامة"، وأنا بلا عيال. نوارة حكت لي بعد الزواج وهي تضحك **(يقلّدها)**: بصراحة يا منصور، أنت سيد الرجال، وأنا تزوجت قبلك ستة، ولم أشعر أني امرأة إلا معك.

(يقهقه منصور ويعيد كلماتها) سألتها: تزوجت قبلي ستة رجال يا كذابة؟ ألم تخبريني أنهم كانوا ثلاثة فقط؟ زوجك الأول وتطلقت منه لأنك لم تنجبي منه. وزوجك الثاني لأنه كان "قمارتيًّا" ويرجع البيت الفجر، ويصحو العصر. وزوجك الثالث لأنه بخيل "جلدة". تضحك نوّارة وتقول لي: يا عم لا تدقق، أنا والله لا أتذكر هل كانوا ستة أو ثمانية، الزواج سترة للمرأة. وأنت نور عيني يا منصور، وأنت أحسن واحد فيهم، عنتيل ودمك خفيف، ورجل نزيه، تشرف من تتزوجه.

(يسكت ويتغير وجهه) بصراحة أنا نفسي تغيرت منها، لأن نوارة طلعت "هجّانة" كما نقول في بلدنا، تبدّل الرجال، وتغيرهم كأنها تغير طرحتها. بصراحة أنا ما تحملت، وذهبت إلى "أم سلامة"، واشتكيت من كذبها، فضحكت وسألتني **(يقلّد صوتها)**: الكذابة قالت لك ستة أو ثمانية، وأنت تقول عنها: هجّانة. والله زمان يا منصور، وهل أنت يا حبيبي ملاك؟ الحال من بعضه، هي فعلا "هجّانة"، ولكنها شريفة، ولا تنس أنك معلّم كبير في الزواجات، وكلّه على يدي.

ضحكت. أنا أسألك يا أم سلامة: هي تزوجت ثمانية؟ ضحكت المرأة العجوز، وقالت: قل عشرين أو ثلاثين، وجنسيات متعددة، عرفي

ورسمي وعند المحامين، ولكن الشهادة لله سمعتها لبن، وأنت يا غالي تممت الزواج بدون سؤال.

(ينظر إلى الجمهور) أنا طبعا فهمت مقصد الخاطبة "القرشانة"، لأنني كعادتي لا أسأل، المهم العروسة نفسها، وقد أعجبتني عندما تقابلنا في الكافيتريا، بروحها حلوة، وضحكتها صافية، اليوم الثاني كنا عند المأذون، وبعدها جاءت هنا. **(يتحرك إلى أحد الأدراج، حيث يخرج صورة له ولها، ومعها عقد الزواج، يتأمل الصورة والعقد، ويضحك)** صحيح أنا عنتيل ودمي خفيف يا نوارة، ولكن يا حلوة لا أقبل أن أكون رقم في سلسلة زواجاتك.

(يتحدث بجد) وأنا عائد من عند أم سلامة مررت على المأذون فطلقتها، وعدت للمنزل فوجدتها قد جمعت ملابسها، وطفشت، وعرفت بعدها من أم سلامة أن نوارة الحلوة حسبتها من جديد، وقالت إنني سأعيش مئة سنة، لأني لست بخرفان. **(يترنم بأغنية فيروز)**

شط إسكندرية يا شط الهوى رحنا إسكندرية رمانا الهوى

يا دنيا هنية وليالي رضية أحملها بعينيه شط إسكندرية

(يكمل والابتسامة تخاتل وجهه) إسكندرية عندي هي الصيف بطوله، أهرب من حرّ بلدتي "مغاغة" في الصعيد الوسطاني، وآتي إلى ساحرتي على البحر، **(بتؤدة)** أصلُ بالقطار إلى المحطة، ثم أتمشى في ميدان المنشية، وأشبع من الهواء، وأتغدى سندويشات كفتة من مطعم بلدي، ثم أذهب إلى غربها، شاطئ العجمي، وكما يقولون: العجمي شاطئ الأمراء والعشاق، هدوء وخيال، وصفاء في المياه، أحجز كابينة على الشاطئ، حتى أتقلب على رماله الناعمة ليلا ونهارًا، ثم أرتحل إلى بقية الشواطئ، وأحلم بأن أمتلك يومًا قاربًا أو يختًا، أتنقل به بين شواطئ

معشوقتي، لأظل محتضنًا البحر من البحر، وسأذهب به من العجمي إلى قلعة قايتباي، ثم أصل إلى شاطئ سيدي بشر والمعمورة والعصافرة، وأنتهي إلى شاطئ "أبي قير".

لو استطعت لجعلت شط "المعمورة" ملكا لي، وإن لم أستطع غزوتُه، واحتللتُه مثل شاطئ المنتزه، الذي امتلكه مولانا الملك فاروق، وأنشأ قصرًا فخمًا ضخمًا، استولى به على الشاطئ، ولم يترك للغلابة أمثالنا إلا أن يشاهدوا القصر المغلق أمام الشعب، وهم يتجولون في حديقته الواسعة، ويصعدون الجسر الموصول مع الجزيرة الصغيرة "جزيرة العشاق"، ليشاهدوا الحرملك والسلاملك، ويحسدون أهل السلطة الآن، الذين جعلوه مصيفًا لهم، ولضيوفهم.

(يقلب في التليفزيون، حيث يقف عند فيلم قديم أبيض وأسود، نلمح فيه مناظر لشاطئ البحر قديمًا، فيحرّك ذراعيه في الهواء، ثم يصفّر بشفتيه اللحن بحرفية، بأغنية ليلى مراد)

بحب اتنين سوا.. يا هنايا في حبهم
الميّه والهوا.. طول عمري جنبهم
حكايتي في الهوى.. مكتوبة في قلبهم
دول للعليل دوا.. الميّه والهوى

لماذا كنت وحدي؟ لأنني أعلم أن أحدًا لن يتحمل سهري على الشاطئ، ولن أتحمل أنا روتينيته في الحياة، فعشقي في الحياة أن أكسر المألوف من حياة البشر، فأظل على الشاطئ من الصباح إلى منتصف الليل، ولا أغادره إلا إلى غرفتي في الشاليه، ونصيبي فيه مجرد ركن جانبي؛ أضع فيه مرتبة أنام عليها، وحقيبتي الجلدية التي لن أندم إن سُرقت، والحمد لله، لم تسرق في أي مرة.

عندما أرجع السكن في كل ليلة أدخل متسحبًا لأنني سأجد كل الساكنين معي قد ابتلعهم النوم، فأضحك من هؤلاء المغفلين، يأتون من محافظاتهم وبلدانهم لينامو، ويتركوا المياه والهواء، أدخل فأتمدد على مرتبتي، وأتنسم العبير الليلي المتسرب من النوافذ المفتوحة.

وهكذا أظل طوال الشهرين، أنفق ما وفّرته طوال السنة، ثم أعود لأروي ذكرياتي عند هؤلاء القابعين في بلدنا، يكوّمون الجنيهات على أمل أن يشتروا فدادين طين أو بيوتًا.. **(يقهقه)**، هم يسخرون من فلسفتي في الحياة التي هي "اصرفْ ما في الجيب يأتيك ما في الغيب". وأنا أسخر منهم، لمعيشتهم الجافة.

(يصمت قليلا، ثم يترنم بأغنية)

يا عزيز عيني وأنا بدّي أروّح بلدي
بلدي يا بلدي ويا عيني على بلدي
بين أهلي وناسي وبقيت غريب يا بلدي
سافر قلبي وما جاشي يدور على بلدي
يا عزيز عيني وأنا بدي أروح بلدي

الناس في بلدنا كانوا دائمًا يتعجبون مني، ومن مقدرتي في الكلام، ويقولون لي، **(ينطق بالصعيدي)** والله يا "منصور" أنت ولد بسبعة ألسنة، وأنا أقول لهم، الحمد لله، ربنا أعطاني اللسان والوسامة، والله لو كتبت ما أقوله من حكمة وخبرة في الدنيا كنتُ أحسن ألف مرة من الكتّاب، أقصد أنصاف وأرباع الكتّاب، الذين يسودون الصحف والمجلات بأساليب ركيكة. **(يضحك)** حلوة "ركيكة" هذه. والله أنت مثقف يا ولد يا منصور.

طبعا الناس نسوا أن هذا سر جاذبيتي للنساء والبنات، لساني "الزالف"

كما يقولون في قريتنا، لو قعدت قعدة على مصطبة أو في مضيفة أو مندرة أتسيّد الكل، وإذا تكلمت الكل يسمع، وما أجمل حكاياتي، خصوصًا عن الشقاوة مع الأنوثة في بنات المدن، بنات القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والمنصورة، حتى باتت قعدتي بشروط، العشاء الدسم مع صاحب المندرة، والشيشة العجمي، والشاي الأسود. **(بغرور كبار السن وزهوهم)** وكنت أردد لهم: لست رجلا عاديًا ينام ويصحو ويأكل ويشرب ويتزوج وينجب، مثل آلاف الرجال المستنسخين في دنيانا، بل أنا لس دنيا واحدة أنا دنيات، وحياتي ليست واحدة وإنما هي حيوات، لو فكّوني لوجدوني بشرًا دون حصر.

(ثم بحكمة واستسلام وهو يتطلع في شقته الصغيرة) صحيح أنني في آخر حياتي، انتهيت لعزلة ووحدة في هذه الشقة الصغيرة بمنافعها **(يتطلع حوله للجدران)**، ولكن هذه هي الدنيا، مهما تملأ بطنك منها لابد أن تدور بك وعليك، ومن لم يفهم هذا فهو أحمق.

(يعترف) منذ سنوات قليلة، بعدما طلقت "نوّارة"، التي أتعبتني بجشعها، ولا تكف عن الطلب- في لحظات الأنس- للمال والذهب، وفي لحظات الغم والنكد تطلب أيضًا، كنت أتهرب منها، وأظن أنها تتدلل عليّ، نعم أحببتها وتعلقت بها، ووددت أن أختم حياتي معها وأستمرّ وهذا على غير عادتي مع الحريم، ونسيت أنها امرأة "هجّانة"، تظل مع الرجل الذي يدفع فقط، وكانت تقول لي ببجاحة: عجوز وفقير، فأذكرها بالذهب والمهر المدفوع، تضحك ضحكتها التي خدعتني بها، وتقول: غيرك سيدفع أكثر يا منصور. آه يا هجّانة.

فعلا فهمتُ أن الدنيا تقلبت بي، وأن تفهم متأخرًا،خير لك من أن تعيش على وهم. **(يصمت ثم يتساءل)**: ولكنها قالت إنني عنتيل ودمي

خفيف، جننتني هذه المرأة، متقلبة، تتلوى وتتلون، مرات ترفع رأسها بشموخ كالأفعى، ومرات تتودد كالسحلية، ومرات تكمن كالصرصار.

(يدندن ويصفّر بألحان مختلطة، ويعود لذكرياته)

في إسكندرية، تعرفت على صديق عمري "محمود دندنة".. على مقهى في "الشاطبي"، مثلي، مجنون بالليل، يعشق السهر، وأحسن ما فيه الدندنة، يدندن وهو صامت، ويدندن وهو يتكلم، ويدندن وهو نائم، لذا ناديته بها مرة، فسمعها من في المقهى، فرددوها عني. وإذا ناديته بمحمود مباشرة، بدون دندنة، يسألني على الفور: زعلان مني؟ فأبتسم، وأهمس له عما ضايقني. يسمع، ويقبل رأسي، ثم ندندن سويًا، وعرفت بعدها أنه عازف أكورديون ماهر، ويعمل في بعض الفرق، حسب ما يأتيه الرزق.

المهم، دعاني "دندنة" مرةً على فرح بلدي في "الحضرة"، وساعتها أمسكت بالطبلة **(يمسك بالطبلة اليدوية التي كانت مركونة، ويضرب عليها بحرفية عالية، ثم يكمل)**، فلم يصدق محمود ما رآه بعينيه ولا ما سمعه بأذنيه، وأنا أصابعي مثل "الملبن" على الطبلة، حتى إن الفرقة نفسها أبعدت الطبّال الذي معها وطلبت مني أن أواصل أنا، ولكنني رفضت وأرجعت الطبلة للطبال، ثم أمسكت بـ "الرّق"، وأشعلت الليلة، بصراحة الطبّال مفتاح الفرقة، لأنه الإيقاع الضابط لها **(كأنه يشرح)** يعني لو أن الطبال بطيء وغير واعٍ للموسيقى، سيكون بلوة على الفرقة كلها، وأنا- وبدون فخر- كنت طبالا بالفطرة، وكأني مخلوق لها، وهذا ما جعل المعلم "صاجات" يستغرب ويسأل وهو متأكد أنني محترف.

الموضوع ببساطة أنني تعلمت الطبلة في بلدنا، لأني مزاجي عالٍ، فأي

فرح في البلد؛ أكون فيه سيّد الليلة كلها، في البداية كنت أطبّل بغشم، لكن الموضوع استهواني، فبحثت عن "المطبلاتي" في فرقة الغجر التي كانت تأتي لبلدنا في الموالد، وتنصب معسكرها في "الجُرْن"، كان اسمه "أبو غريب"، رجل كبير في السن، والهيبة في وجهه، طلبت منه أن يعلّمني، فأعطاني الطبلة، وأشار لي أن أضرب عليها، ضربت عليها، فابتسم، وقال لي: سأعلمك، وأجعلك أحسن مطبلاتي في الصعيد كله.

وكنت أروح له في العصاري، وهو جالس أمام باب الخيمة، أجهز له الشاي بنفسي، ومعي طبلتي، ويبدأ هو يضرب، وأنا أقلده، كلماته قليلة ولكن مركزة، ومرة وراء مرة، وتتالت الأيام، تعلمت الصنعة كلها.

وصرت المطلوب الأول في أعراس وليالي البلد، أطبّل وأغني وأرقص بلدي، ويا سلام علي لو تشوفوني وأنا بالجلباب الصعيدي، واللاسة الحرير، والعكاز الأبنوس، وأجلس في صدر الفرح، والناس من حولي، وأنا أغني..

(يرتفع صوته في فضاء المسرح وهو يغني، وقد أمسك بالطبلة، وراح يضرب عليها بإتقان، وهو يلفّ الغرفة، وكأنه في عرس)

ولا ياولا يا عرباوي ارمي بياضك خطى القناوي

وان كنت شاري يا ادهم زمانك المهر مركب وانت معداوي

(يواصل الحكي)

ولمّا عرضَ علي مطبلاتي الغجر العمل معهم، ضحكتُ أنا، ووجدت لساني ينسحب مني وأنا أرد عليه: معقول أشتغل مطبلاتي في فرقة غجر، وأنا موظف في الحكومة لي "شنّة ورنّة".

سمع أبو غريب مني فانقلبت سحنته، واسودّت، وشتمني، وقال **(يقلّد منصور صوته)**: هذا جزائي، أنت "واطي"، وغدا ستدور الأيام بك، وتتمنى أنك تشتغل في فرقة، ولعلمك يا حضرة المستوظف الحكومي،

فرق الغجر لا يشغّلون معهم إلا الغجر مثلهم، وأنا كنت أشرّفك بالعمل معنا، لأنك امتلكت الصنعة، وصرت تلميذًا لي فعلا.

قبّلت رأسه ويده حتى أسترضيه وقلت له: والله ما قصدت الإهانة، أنتم كلكم على رأسي، ولكن أنا موظف حكومي، وممنوع علي أشتغل مع الفرق، وما قصدت إلا الخير، وأنت معلمي، وأنت تعرف عاداتنا في الصعيد، ولا ترضى أن أهلي يغضبون عليّ.

وجهه اعتدل من جديد، وقال **(يقلد صوته)**: عمومًا يا منصور، الطبل مزاج، والطبّال الموهوب يموت لو ابتعد عن المغنى.

ونسيت الموضوع، لكني صرت نجم أعراس البلد، أُحيي الفرح خدمة مني، وبدون مقابل، حتى قرش أبيض واحد، المهم الناس تفرح، وتكفيني عيون الحريم. ولم أكن أعلم أنني سأكون طبالا كبيرًا، وأين؟ في إسكندرية حبيبتي، وفيها كان غرامي، وعشقي. **(يرتفع صوته بالغناء، ليملأ فضاء المسرح، على نفس أغنية محمد رشدي)**

والله يا هوى مغرم صبابة وقالو لي أهل الهوى غلابة

انا قلت شاري ومادمت شاري لو كانت نغـم قلبي ربابة

ولا ياولا ياعربـاوي

المشهد الثاني

(نشاهد بداية عرضًا بالفيديو لفرقة المعلم صاجات، حيث يبرز منصور وهو شاب بالطبلة، ثم بالرّق، وأيضًا بالدف، ويبرع في الغناء أحيانًا، فيشتعل العرس بالتصفيق والمرح، ونرى محمود دندنة على الأكورديون)

(بعد انتهاء العرض، هذا هو منصور في سن الشباب مرتديًا قميص الفرقة زاهي اللون مع صديقه محمود دندنة، والمعلم صاجات صاحب الفرقة، يقفون في الشارع، بعد الانتهاء من العرض أمام المسرح)

المعلم صاجات (بصوته الأجش وبخشونة قليلة): الله ينوّر عليك يا منصور، ومشكور يا محمود أنك عرّفتنا به.

محمود: منصور يا معلم يعجبك، موهوب، وأصابعه تتلف بالحرير.

منصور (ضاحكا بثقة): تسلم يا معلم، بالمناسبة هذه أول مرة أشتغل في فرقة.

صاجات (ساخرًا): من أولها كذاب؟ أنت تضرب بالطبلة، وكأنك أسطى، وهي صنعتي وأعرف "الآلاتي" ابن الكار من "الغاوي".

منصور (يضحك): صحيح كلامك يا معلم، أنا تعلمت الطبلة على يد أسطى في بلدنا، الله يمسّيه بالخير.

صاجات (وقد انفرجت أساريره): كلام حلو، عمومًا أنت عجبتني، وأحتاجك معي، ما رأيك تشتغل معنا في موسم الصيف؟

منصور (متصنعًا الدهشة): معكم طبال يا معلم، وغير معقول أن أقطع عيشه.

صاجات: تعجبني.. طبال الفرقة الأساسي اختلف معنا وتركنا وراح

القاهرة واشتغل في كازينو بشارع عماد الدين، ربنا يرزقه.

محمود (يدندن بمرح وهو يغمز): فرصة لك يا منصور، تصيّف وتكسب.

منصور (غير مصدق): أشتغل في الفرقة وأنا موظف؟

محمود: أنت طبيعي في إجازة، وغريب هنا، يعني في مأمن.

منصور (متفكرًا): والله فكرة.. أصيّف وأكسب **(يستدرك)** ولكن ممنوع على موظف الحكومة أن يشتغل، وأخاف أن يفتن عليّ أحد.

محمود: يا حبيبي، جمّد قلبك، واشتغل، فرصة وجاءتك.

صاجات: فرقتي أحسن فرقة في إسكندرية كلها.

محمود: نتشرف بك يا معلم وبفرقتك.

صاجات (يخرج من محافظته عدة أوراق مالية ويناولها لمنصور): هذه أجرتك الليلة، ومعها نصيبك في "النقطة"، أنا حقّاني، وكل واحد عندي يأخذ جهده وزيادة. وأنت جديد في "الكار" دعني أقل لك نظامنا في النقطة، لدينا واحد مخصص يجمعها، وتتوزع في نهاية الليلة على الآلاتية كلهم. **(يعطي لمحمود نصيبه أيضًا، فيتقبلها محمود متلهفًا ممتنًا)**

محمود: يا سلام على العدل يا معلم **(يردف نفاقًا)** أنا أعرف فرقًا كثيرة، النقطة تتجمع لصاحب الفرقة ومحاسيبه فقط.

صاجات (معجبًا بكلامه): كل من يعمل معي هو أخ لي، وكلنا وراءنا بيوت وعيال **(واصل ساخرًا)** وأنت شكلك يا منصور، لا امرأة ولا عيّل.

منصور: وكيف عرفت؟

صاجات: راقبتك وأنت على المسرح، ونظراتك وغمزاتك للحريم.

محمود (بخبث): هو يعجبك يا معلم، منصور ذكي ووسيم وابن نكتة.

صاجات (بسخرية): معاكساتك يا منصور تكون خارج الشغل، ولكن وأنت على المسرح تحفظ عينك، بدل ما ينقلب الفرح إلى مأتم بسببك.
منصور (متضايقًا): كلام يزعّل يا معلم، أنا صعيدي ابن بلد وأعرف الأصول، ولم أغمز للبنات، هن المعجبات، وهذا ليس ذنبي.
صاجات (مواصلا سخريته): صعيدي ويعجبون به، على اسمك أم رسمك؟!
منصور (منفجرًا وهو يقلّد بأصابعه ماسك الصاجات في الفرقة): أنت نزلت بي الأرض يا عم "صـــ ا جـــ ا ت".
صاجات (مغتاظا): هذا اسم الشهرة لي يا ولد، واسم الفرقة التي ستأكل عيشك فيها، وهو على الأقل أحسن من اسم فرقة "حسب الله" التي لا نعرف شيئًا عن أصلها ولا عن صاحبها، وفي كل محافظة فرقة منها، حتى أن كل من هبّ ودبّ سمّى فرقته عليها، وكلهم من "الآلاتية" الساكنين على المقاهي، وكأنهم "صنايعية" وليسوا فنانين.
محمود (متدخلا وهو يغمز لمنصور): صلوّا على النبي يا جماعة الخير، وكلنا أصحاب في كار واحد، والكلام في النهاية ضحك.
صاجات (مواصلا بهدوء): وأنت ستعمل في فرقة صاحبها رجل، بدلا من أن تمد يدك في نهاية الليل لـ "عالمة" صاحبة الفرقة وهي في الأساس راقصة.
منصور (مستجيبًا لمحمود): طبعًا أنت سيد الرجال، والشغل شرف عندك.
صاجات (بوجه جامد وهو يضغط على مخارج حروفه محاولا السخرية): غدًا موعدنا يا "منص" في نفس مكان اليوم.
منصور: ماذا تقصد بمنص يا معلم؟

صاجات (ضاحكا): أدلعك، كما دلّعوني بصاجات.

(يغادر صاجات، وقد أشار لحانطور فركبه)

محمود (ينفجر ضاحكا وهو ماشٍ مع منصور في الطريق): ما الذي فعلته يا منصور مع صاجات؟ أنت مسحت به الأرض.

منصور: أنا لا أقبل الإهانة، أنا موظف حكومي، وراتبي يكفيني.

محمود: ولكنك أعجبتني، ولولا أن صاجات محتاجك هذه الأيام، كان طردك من الفرقة، هو ليس سهلا يا منصور. أقصد يا "منصـ... ووووور".

منصور (ضاحكا): هل انتبهتَ لما قال؟

محمود: طبعًا، الرجل تركنا وهو يغلي منك، وكما قلت لك، لولا احتياجه لك، ولأنه أعجب بشغلك، لم يكن اتفق معك من الأساس.

منصور: وهذه فائدة الوظيفة الحكومية يا دندنة؟ هي مثل النواة التي تسند الزير، مهما تقلبت بك الدنيا، فأنت في النهاية لك راتب تقبضه في آخر الشهر.

محمود: أنت تنفذ الحكمة المتوارثة: "إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه".

منصور: ولكن ما سبب تسميته بهذا الاسم؟

محمود(ساخرًا): لا تحتاج نباهة يا منصور، فكر قليلا فيها.

منصور: يا عم قل، أهي معضلة؟

محمود: أبدًا، لأنه فعلا صاحب صاجات، كانت شغلته فقط أنه يضرب بالصاجات، وراء الراقصات.

منصور (ضاحكًا): معلومة حلوة، صاجات وراء الراقصات، نركنها جانبًا حتى نخرجها في الوقت المناسب.

محمود: اهدأ يا طبّال، هو في النهاية صاحب الفرقة، لا تشعلها معه، وسنكون أنا وأنت مع بعضنا، نشتغل، وبعدها نكمل السهرة للصبح

براحتنا. هل نسيت كلامك عن ليل إسكندرية؟ كلّه شقاوة، والشقاوة يلزمها المال.

منصور: صح كلامك يا دندنة.. هيا ندندن، الشوارع فارغة، والعيون مغمضة، وأنا وأنت والسكون، والبحر والرمل.

(يضحكان وهما يغنيان أغنية كانت في الفرح قبل قليل)

افرش منديــلك ع الرملة وانا الف وأجيلك ع الرملة
وأقعد وأحكيلك ع الرملة واسمع مواويـلك ع الرملة
ع الرملـــة.. ع الرملة

(إظلام، ثم إضاءة، حيث نشاهد عرضًا لفرقة صاجات، ومنصور ومحمود يعزفان ببراعة، والتصفيق حاد من الجمهور، وصاجات على المسرح سعيد، وقد أمسك منصور بالميكرفون وغنى وهو يضرب على الطبلة، بأغانٍ صعيدية، وقد بدت في المشهد الراقصة تتحرك على المسرح، دون إظهار رقصها)

(منصور ومحمود بعد الفرقة، ينشفان عرقهما، ويضحكان وقد بدا عليهما الإنهاك، نتيجة الجهد المبذول، ومعهم المعلم صاجات، يناولهما الحساب)

محمود: ما رأيك يا معلم الليلة؟

صاجات: ليلة ولياليتها تتكرر كل ليلة، بصراحة أبدعتما، وأشعلتما الليلة.

محمود (فاركا إصبعيه): وما أخبار الفكّة؟

صاجات: عال، عال، "النقطة" كالمطر، غرّقت الراقصة، والآلاتية كلهم.

منصور (وهو يعد النقود): بصراحة فرقتك عشرة على عشرة يا معلم، كلهم ماهرون، وكأنك اخترتهم بالملقاط.

صاجات: طبعًا، أنا رجل خبرة، وفي هذا الكار من صغري، وأعرف كل

العازفين في القاهرة والإسكندرية، ولم يعمل أحد معي إلا ومدحني.
منصور: طبعًا، نشهد لك يا معلم.
صاجات: أترككما حتى ألحق أنام، الفجر أذّن.
(يغادر صاجات، ويسير الصديقان: محمود ومنصور نحو الشاطئ)
محمود: عيني عليك باردة يا منصور.
منصور: لماذا يا ظريف؟
محمود (غامزًا): أنت والراقصة سماسم كنتما آخر انسجام على المسرح.
منصور: الراقصة لا تستغني عن الطبال، هو الضابط لحركاتها.
محمود: وهي معجبة بك.
منصور: ماذا تقصد يا دندنة؟
محمود: من الآخر، سألتني عنك بعد ما أنهينا الشغل، وهي ثقيلة على الكل، يعني من المسرح لبيتها، والعكس.
منصور: وماذا قلت لها؟
محمود: كل خير، أنت تشرّف وتعجب الباشا يا باشا.
منصور (مزهوًا): طبعًا، وكما يقولون عني في البلد "دنجوان" الصعيد.
محمود: أنا أخذت بالي من حواركما بعد انتهاء الوصلة، وهي تجلس بجانبك دائمًا.
منصور: أنت عينك مركّزة عليّ، تراقبني؟
محمود: لا تنس أننا على الطرف الآخر مقابلك، ولكن هي مهتمة بك.
منصور: بصراحة، هي الجمال كله، ورغم أنها راقصة، ولكن لا تقبل أن يراقصها أحد، وترقص بفنٍّ عالٍ.
محمود: وأنا أزيدك عنها، هي تعول أسرتها، ولكنها ليست إسكندرانية، يقولون من البحيرة، وناس تقول من كفر الشيخ، ولا أحد يعلم الحقيقة،

وإذا سألناها تقول أنا في عنقي كوم لحم، والبيوت أسرار.

منصور: وهي لطيفة.

محمود: أنتَ غرزتَ يا جميل.

منصور: تقصد الحب.. معقول؟

محمود: أنا ملاحظ عينيك متيمة بها، وهي أيضًا معجبة، والكلام بينكما لا ينقطع، **(ساخرًا)** ولعل هذا سبب التناغم الموسيقي والحركي بينكما.

منصور (برومانسية): هي بصراحة تُعشَق.

محمود: تعشق! رجال وشباب إسكندرية كلهم يجرون وراءها، ولا تعطيهم وجهًا ولا ترد على كلام أحد. وبالمناسبة كل أعضاء الفرقة جروا وراءها، ولكن الحب أعمى.

منصور: لا تنس يا دندنة مغامراتي وجولاتي، وأنا متعلم ومعي شهادة متوسطة، وأفضل من الآلاتية الجهلة في الفرقة، الذين يعزفون وكأنهم حدادون.

محمود: طريقك أخضر يا منص.

(إظلام ثم إضاءة توحي أننا في ليلة تالية، في الشارع أمام المسرح، والصديقان منصور ومحمود ومعهما سماسم، وقد ارتدت ملابسها، تنتظر التاكسي)

محمود: يا سلام عليك يا فنانة، الفرقة بدونك ولا شيء.

سماسم (بغنج وثقة): شكرًا يا دندنة، وما رأيك يا منص؟

منصور: عظمة على عظمة، أنت تعرفين رأيي، وأقوله لك أولا بأول على المسرح.

سماسم: تعودت على طبلك، وصرت تفهمني، وتعرف متى أسرع أو أبطئ.

محمود: هو طبّال موهوب.
منصور (مستعرضًا مهاراته في الغزل): وأنت جمال وقوام، وآه من ضحكتك، وعينك لما تبرق.
سماسم: تسلم يا منص. **(تغير الموضوع)** إلى الآن التاكسي لم يأت.
منصور: ننتظر معك، لن نغادر قبل أن نطمئن عليكِ.
سماسم (بإعجاب): كلك رجولة يا منصور.
منصور (لمحمود): تمشَّى لآخر الشارع يا محمود وابحث لنا عن تاكسي أو حانطور، ونركب فيه كلنا، وأنا منتظرك مع ست الكل "سماسم".
محمود (متحركا): حاضر لك ولـ "ست الكل" **(يغادر)**.
منصور: المعذرة يا فنانة، كل الكافيتريات والمطاعم أغلقت، كان ودي أعزمك.
سماسم: كريم وأصيل.
منصور: عمومًا، نحن فيها، ما رأيك نتغدى سويًّا غدًا عند كبابجي المنشية.
سماسم: أنت بعدتَ كثيرًا يا منصور، أنا لا أقبل دعوات.
منصور: براحتك، أحببت أن أقوم بواجب فقط.
سماسم (تنظر له بإعجاب): شكرًا يا صاحب الواجب. محمود أخبرني أنك من الصعيد، وموظف هناك، هل ستستمر معنا؟
منصور: بيتي وأهلي وعملي في مغاغة، وهنا وجودي مؤقت للمصيف فقط.
سماسم: ولكن مستقبلك في المغنى والطرب يا منص.
منصور: بصراحة، أنا لا أعرف كيف أعود لبلدنا، تعودت على الدنيا هنا في الشهر الذي عملت فيه معكم، وبصراحة ما كسبته في شهر أوفّره

في سنة.

سماسم: أعجبكَ الجو هنا؟

منصور: أنا عاشق إسكندرية والمغنى، وعشقت الفن وأهله.

سماسم: إذن، ابقَ هنا، وانقل شغلك هنا، وعش معنا، أنت لك مستقبل، وستطلبك كل الفرق هنا أو في القاهرة.

منصور: والله فكرة أن أنقل وظيفتي هنا، ولكن أخاف أن يفتّن علي أحد، ويضرني لأن العمل المسائي ممنوع، فما بالك لو في فرقة فنية.

سماسم: في إسكندرية الدنيا أمان، وهناك موظفون معنا في الفرقة، ومعارفنا و"واسطاتنا" كثيرة، وممكن نجعل شغلك خارج المدينة.

منصور (متعجبًا): الله عليكِ يا فنانة، عقلك كبير، ولكن لماذا أنت مهتمة بي بهذا الشكل؟

سماسم (متصنعة صفاء النية): نحن زملاء في فرقة واحدة، وبالبلدي في لقمة عيش واحدة، وأحتاج طبالا ماهرًا يتناغم معي.

منصور (مظهرًا التردد): إسكندرية في النهاية غربة عن أهلي، حتى لو أحببتها.

سماسم (ضاحكة): يمكن أن يكون لك أهل فيها.

منصور (مستفهمًا): كيف؟

سماسم: العبيط مَن لا يفهم.

منصور: أنا عبيط؟!

سماسم (بخبث): أنت أبو "الحداقة" فافهم كلامي، وأنا لمّحت لك مرات.

منصور: فهمت.

(يأتي محمود، وهو يشير إلى التاكسي)

محمود: التاكسي وصل آخر الشارع يا فنانة، ونحن نعرفه، سوّاق التاكسي إبراهيم الحضري، أول ما أخبرته عنك تحرّك فورًا.

سماسم: أشكرك يا محمود، موعدنا غدًا.

منصور (يتحرّك معها): سآتي معك يا سماسم، حتى نطمئن عليك إلى باب البيت، الدنيا ليل، والشوارع مهجورة.

سماسم (بثقة): التاكسي ثقة، وأنا بألف رجل، لا تخف عليّ.

(تتحرك مغادرة، وتترك الاثنين، يتفرّس محمود في وجه منصور)

محمود: وجهك ينطق بانشغالك.. خيرًا؟

منصور: بصراحة، سماسم دخلت مزاجي، وأنوي الزواج منها.

محمود (متفاجئًا): زواج، تتكلم جديًّا؟ زواج من سماسم.

منصور: نعم، البنت جننتني، بصراحة أحببتها، وجمالها خرافي.

محمود (غير مصدق): من راقصة يا منص؟

منصور: أنا ضعيف أمام الجمال، وأشعر كأن سماسم ترقص لي وحدي، وأنت نفسك قلت عنها كل خير.

محمود: أنا في الوسط الفني من سنين، وسمعتُها من ذهب.

منصور (مهتاجًا): أريدها لي وحدي، أنا فقط، أمتلكها.

محمود: وأهلك في الصعيد.

منصور: أنا الآن في رغبتي، وأهلي مقدور عليهم، ولن يعرفوا الآن، وسأتقدم بنقل إلى إسكندرية، فقد نويت أن أستقر هنا.

محمود: وتفاصيل الزواج.

منصور (برومانسية): كلها تفاهات، المهم تقطف الموزة.

(إظلام)

المشهد الثالث

(الشقة التي رأيناها في المشهد الأول، ونرى الأثاث فيها جديدًا، وها هما منصور وسماسم، وقد تزوّجا، يدخلان الشقة في وقت متأخر، يبدو الوجوم على وجه منصور)

سماسم (ناظرة له): لك أكثر من أسبوع ووجهك مقلوب، وكل فترة زواجنا حتى أسبوعين، هذا شهر عسل أم نكد؟

منصور (متجهمًا): أنت تعرفين السبب.

سماسم: وأنا رددت عليك، ومستعدة أحلف لك.

منصور: أي حلف وأي قسم، أريد الصراحة، أنا رجل صعيدي، وحاسس أني مضروب على قفاي.

سماسم (بقرف): الصراحة أنني تزوجت عرفيًّا قبلك، والظروف اضطرتني لهذا.

منصور: ولماذا لم تعلميني؟ لو أخبرتني كنت فكرت، وراجعت نفسي.

سماسم (ببرود): أنت لم تسألني، وكنت متعجلا للزواج، وهل هناك واحدة تتزوج في أقل من شهر، وأنت قلت لأهلي لمّا زرتهم: نتزوج، ونكمّل البيت بعدها.

منصور: هذه أمانة منك، كان لابد أن تخبريني بها قبل العقد عند المأذون.

سماسم (باستهتار): لن تفرق قبل أو بعد، أنت تزوجت أجمل واحدة في شط إسكندرية، حسب كلامك يا منص، لما أمسكت بالميكروفون وأعلنتها في الفرح.

منصور: مغفّل، وانضحك عليه.

سماسم (بعصبية): لم نجبرك يا عم المغفل على الزواج، وأنت غير مجبر على الاستمرار، واحسم أمرك بسرعة لأن أمامي عرض جيد في القاهرة.
منصور (ملتاعًا): عرض جيد؟ بماذا؟ بأي مهنة؟
سماسم (هازئة): بالمهنة التي عرفتني بها، وتزوجتني وأنت موافق عليها.
منصور: وأنا المفروض أكون وراءك، مثل صبي العالمة.
سماسم (منهية الحوار): لا ورائي ولا أمامي، كل واحد يروح لحاله.
منصور: بهذه البساطة؟
سماسم (مستهينة): نعم، وما الجديد فيها؟ زواج على الشرع، انتهى بطلاق على الشرع، لعدم التوافق بين الزوجين.
منصور (متفاجئًا): عدم التوافق؟
سماسم: بصراحة، أنت دماغك بلدي، لا تتناسب مع طموحاتي الفنية، وكل ما أردته من هذا الزواج عقدًا شرعيًّا لا غير، وكان فرحنا علنيًّا، الناس كلها شاهدة عليه، وأنا سمعتي من ذهب، ولا زلت شابة صغيرة، وأمامي الحياة والدنيا كلها، وألف غيرك سيرتمون تحت قدميّ.
منصور (غير مصدق): الآن فهمت، عقد شرعي، يحسّن موقفك في أي زواج.
سماسم (وهي تدخل غرفة النوم): أنجز بسرعة الطلاق، ورائي مشاغل.
منصور (يوقفها): إلى أين تذهبين؟ أنت أخذت القرار، وعليّ التنفيذ؟
سماسم (متحدية): نعم، أنت متردد، وأنا حسمت قرارك، ويجب التنفيذ، وإلا....
منصور: وإلا....؟
سماسم: نعم، هل تظنني بلا سند ولا ظهر، ما لا تعرفه يا شهم، أن

هناك ألف شنب يتشددون لي بإشارة مني، هل هناك راقصة تعيش بدون حماية.

منصور: ولماذا لم تتزوجي منهم؟ وأي واحد منهم يقوم بالمهمة التي قمتُ بها.

سماسم: سؤال غبي مثلك، من سيسأل عن زوجي الأول، سيجد أنه موظف حكومي في إسكندرية، ومن أهل الصعيد، يعني زوجًا محترمًا، وليس بلطجيًّا.

منصور (وقد فغر فاه): كل هذا يخرج منك يا داهية؟ وأنا كنت قضيت في الفرقة شهورًا، والكل يمدح فيك، وفي سمعتك.

سماسم: لستُ من أهل الشقق، ولا الجلوس في الصالات مع الزبائن، ولا الحفلات الخاصة في القصور والشاليهات، ولو أحد فكّر يلسّن عليّ، عندي مَن يبلغني كل همسة، ويؤدّبه، ويمنعه من الهمس نهائيًّا.

منصور (بيأس): سأطلّقك، ولكن يجب أن تتنازلي عن حقوقك.

سماسم (بضحكة ماجنة): أي حقوق يا عم البطيخ، الشبْكة الصفيح، أم الأثاث المستعمل، أم المؤخر التافه؟

(إظلام)

(نفس الديكور السابق، حيث نشاهد كلا من: محمود ومنصور، والثاني في حالة نفسية سيئة، وقد تهدل وجهه، ونمت لحيته)

محمود: إلى متى يا عم منصور ستستمر في عزلتك؟

منصور: أول زواج لي يكون ضربة على قفاي.

محمود: هل ستعيد الكلام مرة ثانية؟ أنا سمعتها منك مئة مرة، انس الموضوع كله، وأنت الآن طلقتها، وهي سافرت للقاهرة، وتعاقدت مع فندق كبير، ويقولون إنها ستتزوج من ثري عربي بعد انتهاء عدتها.

منصور: وكنت أنا جسرًا لكل هذا، خدعتني برقتها **(ملتفتًا إليه بحدة)** وأنت أيضًا لم تذكر لي حقيقتها.

محمود: هل تتهمني يا منصور؟ والله العظيم ذكرت لك ما أعرفه، وكل الفرق في إسكندرية تعرف ما قلته لك، ولا زيادة عن ذلك.

منصور: وموضوع زواجها العرفي؟

محمود: والله لم نسمع عنه، وما دام عرفيًّا، لابد أن يكون في السر.

منصور: والبلطجية الذين يساندونها؟

محمود: افهم يا صاحبي، فعلا أي راقصة يكون معها بلطجي أو فتوة لحمايتها، ولا يظهر أمام الناس، حتى لا يثير الشك فيه، ولكن البلطجي يكون موجودًا في السهرات، حتى لا يتحرش بها أحد على المسرح أو هي خارجة منه، وأنت تعرف حياتنا وكارنا، وشغلنا كله قرف، وأنت ترى بعينيك.

منصور: خدعتني المجرمة.

محمود: اترك عنك هذا الموضوع، المعلم صاجات يسأل عنك، ويحتاجك، والرجل أصيل، ومتمسك بك، ولابد أن ترجع الشغل، حتى تندمج في الحياة مرة ثانية، وبمرور الأيام ستنسى، وتكون ذكرى حلوة، وبالمناسبة هو طلب مني عنوان بيتك، وهو الآن على وصول.

(طرق على باب الشقة، يفتح محمود فيجد أمامه المعلم صاجات)

صاجات: السلام عليكم يا منص.. أهلا يا دندنة.

محمود: وعليكم السلام، أهلا بالفن والمغنى والجدعنة.

منصور: أهلا يا معلم.

صاجات: جئتك بنفسي، حتى تعرف قيمتك عندي.

منصور: زيارتك غالية يا معلم.

صاجات: من الآخر يا منصور، حزنك لا قيمة له، ولست أول واحد ولا آخر واحد يتزوج من راقصة، هذا هو وسطنا، وأنا بصراحة عملتها من قبل، الظروف تحكم.

منصور: ما معنى الظروف تحكم؟

صاجات: افهم يا منصور، هي استشارتني، وأنا مدحت فيك، لأنك أصيل، ومتعلم، وابن بلد، وإذا كان هناك سوء تفاهم بينكما، فهذا طبيعي وارد، لأن الراقصة لا تصلح للزواج، هي تختار ما بين الفلوس وبين البيت والعيال، وطبعًا هي اختارت طريقها قبل الزواج منك، وإلا ما اشتغلت راقصة من الأساس.

منصور: هي قالت لكم إن سبب الطلاق هو سوء تفاهم.

صاجات: طبعًا يا منصور، سوء تفاهم، ولا يوجد وفاق.

منصور (ناظرًا إليه): فقط؟

صاجات (بخبث): نعم، هذا أفضل لك ولها، وافهم أنت ما بين السطور.

منصور (يضرب يده في رأسه): صح، يجب أن أفهم ما بين السطور.

صاجات: أحتاجك الليلة بشكل ضروري، سنحيي فرحًا في كوم الدكة، ولن آخذ الفرقة كلها، فقط أنت ودندنة، يعني المطلوب طبال وأكورديون، ومعنا عبده المغني، وسوسو الراقصة، وأجرتكما الليلة الضعف.

محمود (مادحًا): شغل من نار.

منصور (متعجبًا): الضعف؟!

صاجات: آه، بصراحة، هو ليس فرحًا، وإنما ليلة طهور لولد، وفيها جمع لنقطة وديون سابقة لصاحب الليلة، فالليلة حلوة، والمزاج عالٍ.

محمود (مشيراً بعلامة الشيشة): وفيها مزاج أيضًا؟ أحب سهرات المزاج.

صاجات: التاكسي سيمر عليكما الساعة 6 مساء، تكونان جاهزين،

بالإذن أنا.

(يخرج صاجات، ويبقى الاثنان، محمود يغني، ومنصور جامد الوجه)

إظلام

(نفس الديكور السابق، محمود ومنصور، وهما عائدان من الفرح، وقد ظهر عليهما أثر التعب والمزاج العالي)

محمود (مرتميًا على المقعد): آه، هذه هي الليالي، تعزف وتشرب وتتمزج، وتلاعب الراقصة، وتقبض مبلغًا تظل تنفق فيه شهرًا كاملا، ولا ينتهي.

منصور: أهذا مصيري في النهاية.. أشتغل في سهرة حشاشين وخمرجية؟

محمود: هذه تسمى سهرات الدرجة الثالثة، وأنا أحبها، لأني أكون براحتي، شفتني وأنا أعزف، وأتنقل من لحن إلى لحن، مرة أم كلثوم، ومرة أحمد عدوية، مرة فريد الأطرش ومرة كتكوت الأمير، كنت أعزف وأنا غير واعٍ، مزاجي عالٍ، والمطرب يجاريني، والراقصة أشعلت الجو، والناس كلها ترقص وفرحانة.

منصور: وهل هذه آخرتها؟

محمود (منتبهًا): ضيعت الدماغ التي عملتها الليلة، يا عم لا تعش دور الشهيد المسكين، أنا أعرفك جيدًا.. تحب الحياة واللذة.

منصور: والنتيجة أنني جريت وراء راقصة جعلتني محللا لها.

محمود: لأنك عبيط، أنت الوحيد الذي تمتعت بها، وكلنا نحسدك عليها، كل واحد منا كان مستعدًا أه يعمل أكبر من هذا، المهم يفوز بها، وأنت طلعت الأسد.

منصور (مبتسمًا): وماذا أيضًا؟

محمود: أنت وهي كسبتما في الزواج، ولم تخرجا بأية خسائر، بالعكس،

صار لك شقة مفروشة في إسكندرية، وسماسم تركت لك الذهب والمؤخر وكل شيء، ولم يعلم أحد في بلدك بالزواج من أساسه، والموضوع محصور فقط بين الآلاتية، وأنت تعرفهم أكثر مني، نصفهم حشاشون ليلا ونهارًا، والنصف الثاني يحشش بالليل، وينسى ما أكل في النهار.

منصور (معجبًا بكلامه): أنت حللت المشكلة كلها.

محمود: اسمع نصيحتي، التي هي شعارك في الحياة، اضحك واستمتع، وأنت عاشق النساء، يعني امرأة واحدة لا تكفيك، هل تريد أن تحبس نفسك مع وجه واحد، أم معك الفرصة تنوّع وتستمتع، وكله في الحلال، كما قلت لي وأنت تتزوج سماسم.. "السّكة الثانية كلها مهالك".

(إظلام)

(نفس الديكور السابق، طرقات على باب الشقة، يذهب منصور بملابس النوم ويتثاءب وهو يفتح الباب، حيث يدخل محمود ومعه شخص آخر لا ينتبه إليه منصور، فيتحدث بأريحية مع محمود)

منصور: دائمًا أنت مزعج يا دندنة؟

دندنة: الساعة الآن الخامسة مساء.

منصور (وهو يتثاءب): رجعت من الشغل الساعة الثانية، ونمت لأني سهران إلى الفجر أمس، أنا غلطان أني مشيت وراءك أنت وصاجات في أفراح المحششين.

دندنة: ولكن تعود آخر الليل بـ "الغلّة" **(يشير بعلامة المال بيده).**

منصور ناظرًا إلى الضيف الزائر: كان الواجب تنبهني أن معك ضيفًا. أهلا وسهلا ومرحبًا، لا تؤاخذني، محمود صديقي، والعشم بيننا كبير.

دندنة: هذا الأستاذ حمدي المحامي، حبيبي ولا يتخير عنك، وابن حيّنا.

منصور: أهلا بك يا أفوكاتو، الدار نوّرت.

حمدي: أهلا بك يا أستاذ منصور، محمود مدح فيك كثيرًا.
منصور (بنظرة متسائلة يكرر الترحيب): شرفت يا أستاذ حمدي.. أهلا وسهلا، سأحضر عصيرًا مثلجًا.
محمود (ناظرًا لحمدي): لا تتعب نفسك، سنشرب الشربات بدل العصير.
منصور (مستغربًا): أنتما ضيفان وزيارتكما على رأسي **(ناظرًا لمحمود)** خيرًا يا دندنة.. ما حكاية الشربات؟
محمود: بصراحة، نحتاجك في موضوع خاص، ولم نجد إلا أنت.
منصور (ينظر مستفهمًا).
محمود: تفضل بالكلام يا أستاذ حمدي.
حمدي: كل خير إن شاء الله، نريدك أن تتأهل وأحضرنا لك عروسة.
منصور: عروسة؟!
محمود: نعم عروسة، وزواج، والتكاليف كلها على أهل العروسة، وهديتك يا عريس ألف جنيه.
منصور (مطأطئًا): وهدية للعريس! يبدو أنها قرد وليس عروسة.
حمدي (ضاحكا): أبدًا، عروسة، وجميلة، وعمرها 18 سنة.
منصور: هات من الآخر.
حمدي: يا أستاذ منصور، الموضوع بسيط، وهو زواج لمدة أيام، وكل واحد يروح لحال سبيله، ونحن سمعنا عنك كل خير.
منصور (متصنعًا الغباء): لم أفهم شيئًا.
محمود: تقريبًا نفس الموضوع السابق.
منصور (كاتمًا غيظه): أي موضوع؟
محمود: سأفهمك أنا كل شيء، المهم لن نعطل الأستاذ حمدي، سيذهب

لمكتبه الآن، أراد أن يتعرف عليك فقط.

حمدي (ناظرًا في ساعته): سأستأذن الآن، وكل التفاصيل مع محمود.

(يغادر حمدي، ولم يقف منصور لتوصيله، فقد تجمّد في مكانه)

محمود: ماذا بك يا منصور؟

منصور (منفجرًا): أنا الذي ما بي؟ أم أنت الذي حوّلتني إلى قوّاد.. يا قوّاد؟

محمود: عيب يا صديقي، أنا أريد المصلحة.

منصور: مصلحتك أنت طبعًا، لأنك سمسار للمحامي ولأهل العروسة.

محمود (بهدوء): أنت فهمت بالغلط، الموضوع بسيط، بنت خدعها حبيبها، وهي الآن بين أن يقتلها أبوها، أو تنتحر أو تتزوج.

منصور: ولماذا لا تقوم أنت بالمهمة؟

محمود: أنا كما تعرفني، سمعتي ليست كما يجب، ولن يرضى الأب ولا عائلتها أن ترتبط بآلاتي يفك الخط بصعوبة، ومقبوض عليه أكثر من مرة من الشرطة.

منصور: أنت اعترفت على نفسك بأنك قواد.

محمود (ضاحكا): اشتم كما تشاء، ولكن لا تنس أنها ألف جنيه، يعني ثمن نصف فدان أرض في بلدكم، وخلو رجل لشقة، ومهر لعروسة، والبنت حلوة.

منصور: أنت سافل، أنا ابن بلد لا أفعل هذا ولو متُ جوعًا.

محمود (غامزًا): فقط هذه المرة، البنت حلوة فعلا، وهي مختفية عند خالها، ومصير العائلة كلها متوقف عليك.. أو يتم قتل البنت.

المشهد الرابع

(نفس الديكور السابق، وهذا هو منصور مع العروس الجديدة، فتاة صغيرة جميلة، وقد ارتدت فستانًا عاديًا، منصور ينظر لها ببرود، مع إعجاب بجمالها، البنت جالسة منكسرة، ومنصور واقف مرتديًا بذلته التي هي بذلة زواجه من سماسم، وهو يتجوّل في الشقة، حيث وضعوا صينية عشاء كبيرة، عليها صينية بها أطباق اللحم المطبوخ والدجاج والسلطات، وبعض العصائر)

منصور (ناظرًا لها): نوّرت بيتك يا أحلام، اسمك جميل مثلك.

أحلام (منكسرة): تسلم يا سي منصور.

منصور (يتناول قطعة كباب): عشاء فاخر فعلا.

أحلام (تذهب وتضع الأطباق على الطاولة): تفضل.. تفضل.

منصور (يتأملها وهو يأكل): أنت جميلة ورقيقة.

أحلام: ..... (يمنعها الحياء)

منصور (يأكل بنهم وتلذذ وعيناه مركزتان عليها): ما حكايتك؟

أحلام: أي حكاية؟

منصور: حكايتك مع من غرر بك.

أحلام (بعصبية): لم يغرر بي.

منصور (بعطف وهو يحاول تعديل كلامه): هل أحببته؟

أحلام (بضيق): سؤال لا يخصك.

منصور: آسف، لم أقصد مضايقتك، أحببت أن أتعرف أكثر عليكِ.

أحلام: ولماذا تتعرف أكثر؟

منصور: لأنكِ زوجتي الآن.

أحلام: وهل سنستمر؟

منصور: حتى لو لم نستمر، أنا محطة في حياتك لا يمكن نسيانها.

أحلام (بجمود): فعلا محطة، ولا يمكن نسيانها، محطة سأكفر بعدها بكل شيء، سأعيش كما يعيش الناس.

منصور (متفهمًا بخبرته مغزى كلامها): الفشل لا يعني النهاية.

أحلام: لم يكن فشلا، كان خداعًا.

منصور: ستستفيدين منه في المستقبل.

أحلام (بأسى): أنا حلمت بالمستقبل، وضاع الحلم.

منصور: كيف حلمت به؟

أحلام (برومانسية يائسة): كان حبًّا شفافًا، كنا نتقابل وكأننا نطير في السحاب، نحلم بشقة، فيها شرفة بها عصافير ملونة، وزهور معطرة، وأنتريه فخم لونه بيج فاتح، وتليفزيون ملون بشاشة كبيرة، وغرفة نوم قرمزية، ولون الستائر وردية، ويكون لدينا أولاد، اثنان أو ثلاثة فقط، شعورهم ناعمة، شقر الوجوه، ويلبسون الغالي، وتأتيهم عربة المدرسة كل صباح، يوصّلهم أبوهم، ثم يركب سيارته ويذهب لعمله ببذلة أنيقة، ويترقى، ويصعد، وأنا من خلفه.

منصور: نفس ما نراه في الأفلام، التي خدروا بها الشباب.

أحلام (بشدة): من حقي أحلم.

منصور: الأحلام المجانية حق لكل الناس، ولكن احلمي في دائرة حياتك.

أحلام: من حقي أن أخرج من الحي الشعبي، ومن النسوة الجالسات على العتبات طول النهار والليل، لا يهمهن إلا طبخ غذاء اليوم، وإعادة نفس الحكايات.

منصور: وهل كان مثلك في أحلامك؟

أحلام: هو كلب، حيوان، مرات كنت أشعر أنه يحلم مثلي، ومرات أشعر كأنه يسايرني، ويتباهى أمام الشباب بأن أجمل بنات الحي تحبه.

منصور (يرمقها): وأنت فعلا غاية في الجمال.

أحلام: كان كلامه يخدرني، ويبقيني على شوق دائم له، يشعلني عندما نلتقي، ويشعلني في الفراق، ونتلذذ ونحن نخطط لمكان مختلف كل مرة.

منصور: ولماذا لم يتزوجك؟

أحلام: لأنه جبان.

منصور: يبدو أنه لم يحبك.

أحلام: لا أعرف، أحسست أنني التي أحبه فقط، وأنني المتيمة به فقط، وأنني المجنونة به فقط، وهو كان يتباهى بوسامته، وشعره المسترسل، وملابسه الأنيقة.

منصور: أكان جاركم؟

أحلام: كان من نفس الحي. **(تعود لذكرياتها)** تباهيت به أمام بنات الحارة، الكل حسدني على الفوز بأوسم الشباب، صدر عريض، وطول فارع، ولسان مثل السكر، لا يكف عن الحكي، أعود من لقائه فأظل أضحك وأنا أسترجع نكاته وحكاياته، ومغامراته مع البنات، وكان يقول لي قصائد شعر مجنونة.

منصور: إذن، كان يعرف غيرك.

أحلام: قبل أن يعرفني، كانت البنات تتهافت عليه.

منصور: وماذا حدث بعد أن عرفك؟

أحلام (تنظر له شذرًا): لا يجرؤ أن ينظر إلى غيري، أنا زينة بنات الحي كله، بل إسكندرية كلها، ولن يجد أجمل مني.

منصور: أظنه كذابًا، فمن تعود المشي مع بنات لن يكتفي بواحدة.
أحلام: مستحيل أن يكون قد نظر لغيري، لأن أخباره كانت تأتيني.
منصور: وطبعًا سقطتِ وخدعك.
أحلام (بعصبية): كان بإرادتي وبرغبتي، لأنني كنت واثقة أن زواجنا مسألة وقت، لأن ظروفه المادية كانت جيدة، فأهله ميسورون، وأنا أهلي كذلك، لا توجد مشكلة عندي ولا عنده، وأهلي سيفرحون بي إن تقدم.
منصور: وأين تمت الخديعة؟
أحلام (بقرف): وما دخلك أنت؟
منصور (مبتلعًا حدتها): مجرد سؤال، ولا تنسي أنك زوجتي الآن، يعني سرك مع زوجك، وعندنا في البلد لا يفرط رجل في عرضه، حتى لو طلقها.
(يردف) هل أستدرجك أو سقاك شيئًا؟
أحلام (معجبة بطريقة إقناعه): أنا لست طفلة حتى يستدرجني. **(تسكت ثم تنطق بحدة)** أحببت أن أمتلكه كاملا، وأعشقه كاملا، ولا أعود وأنا مشتعلة.
منصور: فهمت، كانت رغبتك الخاصة؟
أحلام: تقريبًا، فذهبت معه إلى بيتهم وأهله غير موجودين.
منصور: ولماذا لم يتزوجك إذن؟
أحلام: نذل، جبان، أنا التي لا أريده زوجًا.
منصور: على الأقل ليصلح خطأه.
أحلام (بعصبية): لا أريده. **(تتذكر)** أحسست بضعفه، وأنه بلا خبرة، كان مرتبكا خائفًا، عكس ما كان يحكي لي.

منصور: إذن عرفتِ أنها كانت المرة الأولى له؟
أحلام: لا أعلم.. ولكنه ضيعني.
منصور: أنتِ مغفلة، راهنتِ على جبان.
أحلام: وماذا عنك يا همّام ويا عتريس زمانك؟
منصور (متصنعًا الفخر): همّام وعتريس عندنا لا يتخلون عن "الولايا"، ولا يقومون بمغامرات كلامية، كذب وتلفيق، أنا واضح، تزوجت قبلك سبع نساء لظروف مختلفة، ولكن عندما تعجبني امرأة أتزوجها. وليس مثل حبيبك.
أحلام: تقصد أنه كان يكذب علي، أنا قلت لك مزاياه، وكان طالبًا في كلية الحقوق، يعني سأكون زوجة وكيل نيابة، ثم مستشار، تحسدني البنات كلهن.
منصور: أو زوجة محام مغمور أو موظف في إدارة قانونية فاشل.
أحلام: ماذا تقول.. كان طموحًا؟
منصور: طموحًا أم كذوبًا؟ إن تجربتك كلها كذب، فحبيبك فارس بالكلمات، مقاتل على الكورنيش، شاعر على المصاطب، أوله خطاب غرامي، وأوسطه "عزومة" في مطعم، وآخره يمسك يدك فيفركها فقط.
أحلام (تنظر بقرف له): تتكلم كأنك خبير في الحياة.
منصور: طبعًا خبير، أمتلك نفسي، وقراري بيدي، ولا آخذ المصروف من أبي، وعندي أشغالي، ودخلي المالي جيد، وأعتمد على نفسي.
أحلام: ولماذا لا تتزوج ويكون لك أولاد وزوجة ثابتة؟
منصور: سؤالك حلو، هل تودين أن أكمل للنهاية معك.
أحلام: أنت؟!
منصور (بحدة): ولم لا؟ أحسن من الهلفوت الذي خدعك بالحب، وأنا

من عائلة كبيرة في الصعيد، وأفتخر بهم، ويشرّفون في أي نسب.
أحلام: لا أقصد هذا. ولكن لم أفكر مطلقًا. أنا تفكيري في الخروج من المشكلة هذه، ثم أصلح علاقتي مع أهلي، كانت تجربتي في الحب مؤلمة تمامًا.
منصور: ولكن ستنجح معي في الزواج ولن تنسي أيامنا.
أحلام (هازئة): سنرى، كلها أيام وينتهي هذا السيرك.
منصور (متجاهلا كلمة السيرك): سأكون شخصية جديدة في حياتك، ومحطة لن تنسيها، وستلقين بحبيبك في زبالة النسيان، لأنه كان مجرد لسان.
أحلام (بعنف): قلت لك، لم يكن يكذب عليّ.
منصور: إذن، مرة أخرى، لماذا لم يتزوجك؟
أحلام: خاف من أبيه، وعندما ذكر لأمه صفعته، وقالت له أنت طالب في الجامعة، لا تزال تأخذ مصروفك منا، لا زواج قبل أن تنهي الجامعة.
منصور: أهكذا قال لك هو أم غيره؟
أحلام: هو قال لي ذلك.
منصور: أشك أنه صادق، فقط أراد أن يتملص منك.
أحلام: أبدًا.. أبدًا.
منصور: وماذا فعلت بعدما خلع منك مبكرًا؟ لماذا لم تجعلي أهلك يرغمونه.
أحلام (بانكسار): قلت لأمي فلطمتني، ولولا أنني البنت الدلوعة كان زماني ملقاة في قاع البحر مربوطة بحجر، ولولا بكاء أمي لخالي الذي تدخل لحل المشكلة.
منصور: أبوك لم يعرف حتى الآن؟

أحلام (باكية): لا، ولا يعرف بخبر زواجي، سيخبره خالي في الوقت المناسب، بعدما ننهي المسألة، وقد فعلت كل هذا حتى لا أحني رأسه.
منصور (ينظر لها ببرود، ويعود إلى الطعام فيأكل منه): أخذنا الكلام وبرد الطعام، هل تعرفين كيف تعيدين تسخينه؟
أحلام (بغرور): حتى لو أعرف، لن أفعل.
(منصور يطأطئ رأسه، وهو يقول يحمل الصينية متجهًا بها إلى المطبخ)
منصور: سأضع الطعام في الفرن ثم أعود إليكِ.
(يصل لأسماعها أصوات الأطباق الصاج التي سيسخن فيها الطعام، ثم يعود إليها، وهو ينشّف يده، ومن ثم يفك رابطة عنقه، وينظر لها باحتقار دون كلام، وهي لا تزال بنظراتها المتحدية، يعود مرة ثانية إلى المطبخ، ويحضر أطباق الطعام وقد تصاعد منها البخار، ويضعها على الطاولة، ويذهب إلى جهاز التسجيل حيث يضع كاسيت لأغنية شعبية، ويرفع الصوت عاليًا جدًا فتطلب منه أن يخفض الصوت، وهو غير آبه لها، ومن ثم يتجه إليها، ويصرخ وسط الضجيج العالي)
منصور: هنا **(يشير بإصبعه لشقته)** عندما آمرك فعليك أن تنفذي ما أقول.
أحلام (صارخة بعزة نفس): أصدّقت نفسك أنك زوج بالفعل؟
منصور: للأسف أنت إسكندرانية، وأنا أحمل تقاليد الرجولة الصعيدية، ومسكينة أنت لأنك لا تعرفين الرجل الصعيدي الأصيل.
أحلام (هازئة): نعم لم أتشرف به.
منصور: وهو سيشرفك، قبلتِ أم رفضتِ.
(منصور يطرق رأسه في الأرض، وهي تنظر له متحدية، ثم يلطمها على

وجهها بقوة فتصرخ باكية، وتخرج منها شتائم متقطعة على شاكلة: يا حقير، يا وسخ. فيعود منصور لصفعها من جديد فتسقط على الكرسي وقد كتمت بكاءها، وأشار إليها أن تحمل صينية الطعام إلى المطبخ، ففعلت، وعندما عادت كان قد استلقى على الأريكة، وأشار لها أن تحمل جاكيت بذلته)

منصور(متلذذًا بقهرها): سأعلمك هنا كيف تكونين زوجة ناجحة، بغض النظر عمن ستتزوجينه، وسأعلمك هنا أيضًا درسًا جديدًا في حياتك وهو أن هناك رجلا يبيع كلامًا، وهناك آخر لا يبيع ولا يشتري، فقط يفعل.

(إظلام)

(ينفتح الضوء من جديد، ونشاهد نفس المشهد السابق، منصور جالسًا على كرسي الأنتريه وهو يقلب في مظروف المال الذي تسلمه من صديقه محمود دندنة، وراح يرتشف الشاي متلذذًا، ويشم بعض الزهور الفوّاحة)

محمود: والله طلعتَ أسدًا يا ولد يا منصور.

منصور: كيف؟

محمود: خال أحلام يشكرك على شهامتك وهو يعطيني بقية حسابك، وإن كان غاضبًا لأنك رفعت المبلغ من ألف إلى ألف وخمسمائة جنيه.

منصور: علمت منها أنهم ميسورون فقلت لماذا لا أستفيد أيضًا.

محمود: الخال معجب بك، يقول إن البنت رجعت بشخصية جديدة، ماذا فعلت معها يا أسد الحريم، وفهد البنات، ونمر الأنوثة؟

منصور: أبدًا، طبقت عليها تقاليد الصعيد، عندما تعصي الزوجة زوجها، فمن العيب أن يعيدها لأهلها قبل أن يؤدبها.

محمود: والبنت لم تفتح فمها بكلمة، عادت وكانت هادئة.
منصور: تخيل.. أوهمتها أنني لن أطلقها، وستظل رهينتي إلى النهاية، ولك أن تتخيل كيف جعلت كل قطعة أثاث في شقتي لامعة، وكيف كنت أعود من شغلي الليلي مع الفِرق فأجدها ساهرة، لأنها تعلم أن حزامي سيكوي ظهرها إن نامت دون أن تنتظر زوجها للعشاء.
محمود: ولكنك لم تفعل هذا مع سماسم؟
منصور: لأنني أحببتها، وعندما اكتشفت حقيقتها عزمت أن أستمتع فقط، وأجمل شيء أن تجد امرأة متمردة ثم تخنع على يدك.
محمود (مصفقًا وهو يغني): جبار.. جبار.. في قسوتك جبار.
منصور: بصراحة يا محمود البنت كانت صاروخًا في الجمال والدلال، ولكن كانت نفسها عالية، أرادت أن تعاملني مثلما عاملت حبيبها الأول، ولكن شتان بيني وبينه، هو تلميذ يأخذ المصروف، وأنا رجل أملأ عين أي بنت.
محمود: أعجبتك الشغلة؟
منصور: أي شغلة؟
محمود: أنت تفهمني يا كبير.
منصور: كما قلت لك، الحب كذب، والمرأة الواحدة التي تكون زوجتك وهم، والأفضل أن تغيّر وتبدّل، ساعتها سترى نفسك مختلفًا وجديدًا في أعين النساء، وأيضًا ستشعر مع كل واحدة بمشاعر جديدة.
محمود: ما هذه الفلسفة العالية؟ دماغك كبيرة.
منصور: أحببت سماسم وتزوجتها وأنا طامح لأولاد واستقرار، أما وقد فشل الموضوع فقد قررت أن أتفرغ إلى نفسي حتى أشبع من الحياة.
محمود: وأنا أيضًا فهمتك. دعنا نتكلم في الشغل، المحامي صاحبك

وصاحبي يسلّم عليك ويحتاجك في مقاولة جديدة.

منصور: لقد تزوجت عن طريقك وطريق صاحبك المحامي حوالي ثماني نساء، بصراحة اللعبة حلوة، ولكن سمعتي تلوثت.

محمود (متظاهرًا بالجد): لماذا؟ كله بالحلال، حتى الزواج العرفي أنت ترفضه، يعني أنت على الصراط المستقيم.

منصور (يعجبه كلام دندنة): تخيل.. الجيران ينظرون لي باستغراب، وأنا أفهم نظراتهم جيدًا، وهم يعلمون بزواجي.

محمود: عادي، أنت رجل، لا تسأل فيهم.

منصور: أنا أفهمهم جيدًا، هم رجال قرفوا من زوجة واحدة، وهم يرونني متعدد، ونساؤهم قرفن منهم، فحياتهم لا جديد فيها، طعام وشراب ونوم وعمل، وسلامتك.

محمود (يغمز له): هل تعرفت على من حولك؟

منصور (يفهم الإشارة): من حولي؟ والله أنت عبيط، أنا لا أركض خلف متزوجة، ولا ينحدر مستوى اختياراتي الأنثوية.

محمود (مصفقًا): كبير من يومك يا دنجوان عصرك.

منصور: الرجل السافل هو الذي يضع عينه على متزوجة، لأنها في النهاية ليست ملكا له، ولا يمكن أن يمتلكها، هو يتسلى، وهي أيضًا تتسلى، ومن تسلية إلى فجور يا قلبي لا تحزن.

محمود: نتكلم في الجد.. ممكن يا كبير؟

منصور: تكلم، ما نوع المقاولة هذه المرة؟

محمود: مختلفة بعض الشيء عما سبق.

منصور: هات من آخر الحكاية، ما الموضوع؟

محمود: دعني أقول لك من البداية وأنت استنتج النهاية، وكلّك نباهة

كما نعلم.
منصور: قل يا ذكي.
محمود: سيدة عمرها 42 سنة، وعندها أربعة أولاد، وزوجها تاجر كبير، ولكنه عيبه أنه ملازم الكأس.. وطبعًا وارد الخلافات.
منصور: أنت غبي.. هي متزوجة، ما دوري الآن؟ هل أمشي معها.
محمود: حاشا لله يا كبير، نسيت أقول لك.. هي مطلقة، الطلقة الثالثة.
منصور: والمطلوب أن أكون محللا.
محمود: أنت لا يرضيك أن يتزوجها صبي من صبيان زوجها في الوكالة، ولا أحد أصدقائه، ويعايرونه بعد ذلك، فلما وصل الأمر إلى المحامي صاحبي وصاحبك، فكّرنا فيك مباشرة، وأنت لها، موظف حكومي، ورجل وسيم وجاذب، ولا أحد يعرفك في إسكندرية، وأيضًا فلسفتك تجعلك لا تكون زوجًا فقط، بل زوج ومعالج نفسي، ومصلح أسري.
منصور (ضاحكا): والعمولة كمْ يا عم الوسيط؟
محمود: نفس المرة الماضية.. ألف جنيه.
منصور: أرفض يا جميل، عمولتي ألفان.
محمود (متغير الوجه): أنت تغالي يا منص؟
منصور: دعني أسألك يا دندنة.. كم عمولتك أنت؟
محمود: أنا آخذ الفتات.
منصور: علمت أن فتاتك هذا في المرة الماضية كان خمسمائة جنيه، والمحامي ألف جنيه، وأنا العبء كله عليّ.
محمود (مستسلمًا): سأبلغ المحامي وأهل العروسة، وأرد عليك.
منصور: أين ستكون فرقتنا اليوم؟
محمود: في نادي المحطة، ليلة عادية، موسيقى مع مغنين درجة ثالثة.

منصور: أفكر يا محمود في موضوع.

محمود: خيرًا.

منصور: أنا وأنت فقط نكوِّن فرقة، وتكون مختصة بأفراح الأرياف والبدو، ونخرج صاجات من الاتفاق.

محمود: نعمل لحسابنا؟

منصور: بدون ما يعلم صاجات، هو يأخذ ثلث الأجرة، ولا يفعل شيئًا، حتى الصاجات لا يعرف كيف يشعل بها الليلة، وأنت ترى جهدي وجهدك في الشغل.

محمود: والله فكرة حلوة. ولكني أخاف من خبث صاجات.

منصور: اتركه لي، المهم ابحث عن أفراح في الأيام التي لا نعمل فيها.

محمود: سأتحدث مع حبايبي ومعارفي، وأرد عليك.

منصور: المهم في سرية.

محمود: طبعا. وماذا عن الموضوع الأول.. أقصد المقاولة؟

منصور: أنا جاهز لأي موضوع، المهم المقدم والمؤخر، والعشاء القيّم، والهدايا الغالية، وحاضر لأي خدمة.

محمود (متملقًا): ما شاء الله عليك، كبير، وعاقل، وحلّال المشاكل.

(إظلام)

(ثم ينفتح الضوء من جديد، بنفس الديكور السابق، ومنصور ببذلة العرس التي رأيناها من قبل، مع زوجته الجديدة سناء، واضح من معالمها أنها متعلمة، ونشاهد صينية العشاء، عليها ما لذّ وطاب)

منصور (يتحّرك بهمة): مساء الفل على ست الكل.

سناء (تنظر له بنظرة عادية): مساء الخير.

منصور: مبارك لنا.

سناء: الله يبارك فيك. كلها أيام وتنتهي المسألة.
منصور: حتى لو كانت أيام، سنقضيها في سعادة.
سناء: واضح أن مزاجك عالٍ.
منصور: جدًا.. جدًا، ولكن ليس كما تتخيلين، لست حشاشًا ولا خمرجيًّا.
سناء (بلطف): لم أقصد، ولكن تعودت أن الرجل السعيد يكون شاربًا.
منصور: وزواجنا فرصة لأن تغيري قناعاتك.
سناء: واضح أنك لطيف، ومثقف.
منصور: أنا موظف حكومي، وفنان موسيقي، وقارئ للكتب والصحف.
سناء (معجبة): ولماذا قبلت هذه الشغلة؟
منصور: تقصدين زواجنا؟
سناء: (تحني رأسها موافقة).
منصور (ضاحكا): أول مرة أعرف أن هناك شغلانة اسمها المزواج، عمومًا أنا قبلتها حرصًا على أسرتك وأولادك.
سناء: حسب ما أعرف فإن المحلل منبوذ، ولا يقبل به إلا....
منصور: إلا من...؟ وماذا لو لم يقبل بك أحد.. هل ستعودين لزوجك بعد ثلاث طلقات بائنة يا حلوة؟
سناء: ولا يهمني.. كله يستوي عندي.
منصور: وبيتك وأولادك؟
سناء: سأبقى معهم، لأنني أعيش من أجلهم.
منصور: ولماذا قبلتِ بي؟ أقصد قبلتِ بالزواج مني.
سناء: ضغوط من أهلي، لا أكثر.
منصور: كلام مقنع.
سناء: مقنع للناس، أما لي فقد كرهت الرجال كلهم.

منصور (مغيرًا الحديث): واضح أنك تعملين؟
سناء: أنا مدرّسة في مدرسة ثانوية.
منصور (محاولا التعرف عليها أكثر): عظيم.. وهل أحببت زوجك؟
سناء (مبتسمة): سؤال لا أتوقعه منك، لأنه لا يهمك في الأساس.
منصور: لماذا؟
سناء: حسب ما قالوا لي، إنك متعدد في الزوجات، وإنك في النهاية محلل.
منصور: ماذا تعنين بكلامك هذا؟
سناء: أن الحب غير موجود في حياتك أو حساباتك، فلا تسأل عنه.
منصور (متفاجئًا وهو يردد): فعلا هو غير موجود في حياتي كما نراه في الأفلام.
سناء: إذن أنا على حق، ولا أقصد حب الأفلام، أقصد حب الأسرة.
منصور: يمكنك أن تقولي انتهى من حياتي، بعدما بدأ.
سناء: لم نختلف كثيرًا.
منصور (ينظر للطعام): أخاف أن يبرد.. دعينا نأكل.
(يشرع في الأكل، ويتلذذ، ويشير لها بيده أن تشاركه)
سناء: كل كما تشاء، أنا سأظل مكاني، ليلة تمر مثل كل الليالي.
منصور (وهو يبلع الطعام): هل تتخيلين أنني لم أتوقع أن يكون عقلك بهذا العمق؟
سناء: شكرًا، المهم ألا يكون مجاملة.
منصور (وهو يشرب): أبدًا، أنت عقل وجمال، بعكس السابقات، جمال وتفاهة، وأحيانًا لا جمال ولا تفاهة، وتكون النتيجة لي فقرًا في النهاية.
سناء (مبتسمة): واضح أن زبائنك كثيرة.

منصور (يبادلها الابتسام): لن أرد عليك يا سيدتي الجميلة، لأنني لا أحب تعكير مزاجي، وربنا يبعد عنا الهمّ. **(ينظر لها ويتأمل جمالها)**

منصور: فعلا صدقت المطربة الكبيرة "رباح" وهي تقول كل سن وله جماله وعشقه.

سناء: أتعجبك رباح؟ لا أتكلم عن صوتها.

منصور: طبعًا، تعيش حياتها بالطول والعرض، تتزوج من يعجبها، وتتحدى العالم كله، حتى لو كان الزواج سيستمر أسبوعًا، مثلما تزوجت الفنان الكبير رمزي أنور خلال تصويرهما لفيلم في بيروت.

سناء: واضح أنك متابع لأخبار الفنانين.

منصور: بحكم تخصصي، أنا فنان في فرقة، يعني أنا ورباح في مهنة واحدة.

سناء: أنت وهي في مهنة واحدة، ألا وهي الطبل والزمر، لكن رباح فنانة صوتها جميل، وأنت طبال وراء.....

منصور: وراء من.....؟ تكلّمي.

سناء: حسب ما عرفت، وراء الراقصات ومطربي الدرجة الثالثة.

منصور (معاتبًا): لا تنسي أنني زوجك.

سناء: والله لم أعرف بأنك فنان إلا اليوم من المحامي، بعد كتب الكتاب.

منصور: ولماذا قال لكِ؟

سناء: أراد أن يضحك معي، وقال كلها ليلة وتمر، وهو يمدحك.

منصور: لم يكذب المحامي، ولكن لست آلاتيًا، لأنني متعلم.

سناء (بسخرية): أنت موظف صباحًا، وطبال على واحدة ونصف مساء.

منصور (غاضبًا): أنا فنان، هاتي لي فرقة موسيقية في العالم بدون طبال، هو الوحيد المتحكم في الإيقاع، وأنا بارع جدًا، وأنتظر فرصتي للشهرة.

سناء: ستأتيك الشهرة أكثر من زوجاتك وحبيباتك.
منصور (ضاحكا): والله أنت رائعة، رغم أنك مستفزة.
سناء: وأنت نكتة، شأنك شأن كل الرجال، أهم شيء مزاجك.
(يدخل منصور ليخلع بذلته، ثم يعود مرتديًا روبًا، وهو يضع عطرًا)
منصور: لم تخبريني بعد، هل تزوجتِ زوجك عن حب؟
سناء: السؤال لا يكون بهذا الشكل، بل يكون: هل الحب بات موجودًا؟ ليست المشكلة أن تتزوج عن حب، المهم أن يستمر الحب.
منصور (معجبًا): أنت حكيمة.
سناء: الزمن علمني، وعقبالك.
منصور: أنا لا أبحث عن حب واحد نستمر فيه إلى الملل، وإنما عن التنوع الذي يجعلنا في شوق للحياة وللحبيب.
سناء: إن ما تفعله ليس تنوّعا، وإنما متاجرة.
منصور: لا تفرق كثيرًا، المهم المتعة.
سناء: أي متعة بدون عاطفة لا قيمة لها، المتعة الوقتية يعقبها القرف.
منصور: كأنك فيلسوفة.
سناء: أنا أكبر منك سنًا، وأعلم الدنيا أكثر، واضح أنك استرحت لهذا الطريق، تتزوج وتطلق، تغني وترقص، وفرحان بشبابك.
منصور (ببرود): مدهشة أنت، لقد حللتِ شخصيتي ببراعة.
سناء: (تضحك بشكل غير منطقي).
منصور (مستفهمًا): لماذا الضحك؟
سناء: تذكرت أنني كنت أقول لصديقاتي: حياتي تسير على واحدة وربع.
منصور: حياتك أنت؟
سناء: نعم، وكن يجادلنني ويسألنني تقصدين ماذا؟

منصور (مستغربًا): .....

سناء: الواحدة هي أنا، والربع هو زوجي، أشعر كأنه ربع رجل.

منصور: وما علاقتي أنا به؟

سناء (تضحك من جديد): أنت تسير على واحدة ونصف.

منصور: لا أسمح لك.

سناء: ليست إهانة والله، أنا قصدي شيئًا آخر.

منصور (معلقًا): عمومًا واحدة ونصف أحسن من واحدة وربع، لكن ماذا تقصدين بالواحدة وبالنصف؟

سناء: الموضوع مختلف معك، أنت مثل طبلتك التي تضرب عليها **(تضرب على المنضدة)**، تسير على واحدة ونصف.

منصور: لم أفهم، كيف؟

سناء: متى تضرب نغمة واحدة ونصف.

منصور: عند الرقص البلدي وراء الراقصة.

سناء: وأنت هكذا في حياتك، ستظل ترقص.

منصور: أنا في مرحلة تسالي، وسأتزوج حتمًا، ويكون لي بيت وأولاد.

سناء: أتمنى، ولكنك مثل زوجي.. يحلف كل مرة ويكذب، وعندما صارحته بأن يعتدل بدلا من حياتنا التي تسير على واحدة وربع، قال أنا ربع، وأنت واحد كامل صحيح، أنت برقمك تضبطين حياتنا، وأنا برقمي لا أستطيع أن أزيده، وأخاف أن ينقص.

(إظلام)

المشهد الخامس

(نعود إلى ديكور المشهد الأول، ومنصور في العقد السابع، وهو جالس بجلبابه الفخم، وقد أخرج أوراقًا عبارة عن عقود زواجه، وأيضًا صورًا كثيرة مع زوجاته، يمكن عرض الصور أو عقود الزواج مكبرة)

(يقلّب منصور في قسائم الزواج وأيضًا الطلاق، ويتأمل الصور)

تلك هي حياتي، انتهت إلى أوراق وصور، أكل الناس مثلي أم أنا فقط؟ الفرق بيني وبينهم أنهم يعيشون مع أولادهم وأحفادهم يحكون شبابهم وذكرياتهم لهم، وأنا هنا بمفردي، أكلّم نفسي بصوت عالٍ، دون أن أشكك في قدراتي العقلية، فالكلام مع النفس أفضل من الصمت. وتحريك اللسان، أفضل من جموده، وبديلا عن تصلب عينيّ أمام القنوات الفضائية.

(يبرز صورة بالأبيض والأسود، وقد نضحت بالاصفرار الدال على قدمها)

صورتي مع سماسم في الستينيات، تبدو في الصورة بيضاء، ولكنها سمراء فاتحة اللون، وشعرها في الصورة فاحم السواد، ولكنه في الحقيقة بني. تخدعنا صور الأبيض والأسود كثيرًا، لأننا نرى الدنيا متدرجة من الأبيض والرمادي إلى الأسود، ويبدو أن حياتنا تتقلب بنا بين هذين اللونين.

(يتأمل الصورة) ضحكة سماسم عذبة، لا أنكر أنني أحببتها، ربما كانت الوحيدة التي تعلقت بها بصدق، ولكن أين أنا الآن، وأين هي؟ سماسم كانت تعرف جيدًا ما تريده في الحياة، كل شخص في حياتها درجة في سلم صعودها، وقد صعدت ولمعت، حتى إنني شاهدت ماركة قماش تحمل اسمها، أقصد اسمها بعد الشهرة، الذي صار "سلوى مهاب"، ومرة اصطحبني دندنة إلى سهرة في فندق مريديان، من خمس عشرة

سنة، وهناك شاهدتها وهي ترقص، وخلفها مجموعة من الراقصات الأوكرانيات، وهن قدمن لوحات رقص مبهرة، وددت وأنا أراها تتمايل أمامي، أن أصعد وأطبل وأستعيد ذكرى شبابي لعلّي أرويها من جديد، تعمّدت النظر إليها والتركيز في عينيها، ولكنها لم تتذكرني، نعم لم تتذكرني، فأنا مجرد درجة أولى في السلم، وربما كنت في القاع نفسه، ومنذ سنوات قرأت كلامًا لها في مجلة النجوم، تعتبر فيه الرجل جزءًا بسيطا في حياتها، فالمهم هو مجدها.

(يخرج صورة ملونة) أهلا يا نعيمة **(يغني)** "أمه نعيمة نعمين، خلي عليوه يكلّمني". كلما قابلتها كنت أغني لها: أمه نعيمة. وهي ترد: نعمين. فنضحك معًا، أموت في المرأة البلدي، بملاءتها اللف وقَصّة الشعر البارزة من الإيشارب، وجنونها في الحب.

قضينا أحلى الأوقات على الكورنيش، والغريب أن ذكرياتنا كانت في الشتاء، والجو بارد، وأسناننا تصطك، نركض على الشاطئ الفارغ ونلاعب الموج بأقدامنا، ثم نعود لنأكل سمكا مشويًّا في مطعم ونشرب الشاي الساخن، تزوجتها وأنا أعلم أنها خادمة، وأنها تطلقت من زوجها في القرية بسبب ضربه لها. هكذا قالت لي. وأضافت: قبلت أن أشتغل خادمة هنا حتى أوفّر مالا أشتري به فدادين أرض، وأعيش مستورة طوال حياتي دون أن أمد يدي إلى إخوتي أو زوج لي. وقد قالت لأهلها أنها ستسافر إلى ليبيا لتخدم أسرة مصرية هناك.

استمر زواجي بها سنة تقريبًا، تأتيني آخر الأسبوع فنقضي وقتًا نغرق فيه حبًّا، ثم تتركني على شوق، حتى فاجأتني يوما بقولها: سأعود إلى قريتي. فمعها مال يكفي لكي تشتري أرضًا، بصراحة أنا تعجبت بشدة، فقط أريد معرفة مصدر المال، ألمحت لها عدة مرات، فكانت تلفّ

وتدور، ثم طلبت الطلاق في هدوء.
فهمت الإشارة من غير عبارة، فقلت يا ولد يا منصور، يكفي أنها منحتك السعادة وأحبتك بنقاء، وعشتَ معها قصة حب بلدي، لدرجة أنني كنت أصعد أنا وهي فوق السطوح، ونختبئ في العشش، ونتعلق بحبال الغسيل، ودّعتها عند محطة القطار وأنا أقسم لها أن سرها في قلبي.
(يقلّب في ألبوم الصور، ثم ينظر إلى عقود الزواج، أمسك عقدًا مهترئًا)
أهلا وسهلا بالسيدة المصونة "عصمت هانم"، هكذا كنت أناديها، أحببتها وأنا في السادسة والثلاثين وهي أكبر مني بعشر سنوات حسبما قالت، ورفضت أن تطلعني على بطاقتها الشخصية، حتى لا أعرف تاريخ ميلادها، تعرفت عليها في فرح من أفراح باكوات زمان، ظلت طوال الفرح تنظر لي، وعندما انتهت الليلة ذهبت إليها وهي جالسة على مقعدها الوثير، فقامت وأمسكت بذراعي، وتمشينا في الحديقة، وهي تقول بجرأة عجيبة: أنت ضحكتك تجنن، وغنّت لي بصوت شجي:

يا الاسمراني، رمشك ناداني ما اعرف جرحني ولا داواني
يا الاسمراني كان بالي خالي والحب عمره ما جاش في بالي

غازلتها ومدحت في أناقتها، وكان واضحًا أنها من الطبقة العالية، التي نسميها نحن أرستقراطية، وأسموها أيام الستينيات بقايا الأتراك، كانت ملامحها تركية وتفتخر بجدها التركي، ولكنها تعشق الوجوه المصرية السمراء. عرضت عليّ الزواج، بشرط أن آتي لها في شقتها الفخمة المطلة على البحر، وافقت فورًا، فالعرض مخملي كما يقولون، وتزوجنا، واشترطت أن يكون زواجنا سريًّا، لأن أولادها كبار، ومسافرون لأوروبا. علمتني فن الأتيكيت والأكل بالشوكة والسكينة، فكنت آتي لزيارتها وأنا في قمة أناقتي، وألبس البذلات الفخمة التي اشترتها لي، وكانت

تقول للبواب والجيران إنني ابن أخيها، أتابع أرضها في العزبة، وأعمالها ومصالحها في إسكندرية، وكنت أناديها بعمتي أمام الناس. استمتعنا بخداعنا للناس، حتى صار جزءًا من طقوس لذتنا. وعندما نلتقي نتكلم لساعات حتى نشبع من بعضنا، أنستني بدلالها أنها أكبر مني بعقد أو عقدين، وأشعرتني أنها لا تزال بنتًا دون العشرين.

ثم فضلتْ هي إنهاء العلاقة بعدما عاد ابنها من أوروبا واستقر معها في الشقة، قالتها لي بكل هدوء.. وأيضًا بكل برود.

(ينظر إلى صورة امرأة في الأربعين، الصورة بالألوان)

حضرة المعلمة المبجلة كريمة، تزوجتني وجاهرت بالزواج وسط أصحابها كلهم، وكانت تصطحبني في حفلات المدرسة مع الطالبات وأولياء الأمور وتعرّفهم بي، مسكينة أنت يا كريمة، سابقتِ الزمن الذي تسرب منك وأنت مضربة عن الزواج لتربية إخوتك، فقررت الزواج قبل أن يلحقك سن الأربعين المشؤوم عند النساء، وقد اشتدت عاطفة الأمومة، واشتقتِ إلى الرجل. قالت لي: أريد أي رجل، لا يهمني من هو، أريده فقط، السنون ركضت مني، وأنا الآن أركض خلف ما تبقى لي منها.

تعجبت منها، وأنا أتساءل: أي رجل، معقول؟ فتقول: فقط أريد نطفة، لكي أكون أمًّا، وسيكون ابني وحدي، أربيه أنا، وسأكون له أمًّا وأبًا وعمًّا وخالا. لكنها أحبتني وتباهت بوسامتي، وكانت تسمع حكاياتي عن زوجاتي وتغرق في الضحك، وأستغرب منها لأنها لم تشعر بالغيرة ممن سبقنها.

"أنت تحاولين الإنجاب يا كريمة، ولكن متأخرة بعض الشيء". هكذا صارحها الطبيب، لأن المرأة بعد الأربعين تقل فرص حملها، وعليها أن تفكر بواقعية.

(تدمع عيناه، ثم ينفجر باكيا) في كل مرة كان الطبيب يكشف عليها، ويدقق في التحاليل والأشعات، ولكنها كانت متأكدة أنها ستنجب.
وفي المرة الوحيدة التي ذهبت معها إليه، طلب الكشف علي أنا، وعرفت كريمة ساعتها أن المشكلة ليست فيها فقط، وإنما فيّ أنا أيضًا.
ساعتها بكيت وقلت بصوت عالٍ، مثلما يقولون في بلدنا، إن الرجل العقيم كالأرض الصخرية، لا تنبت ولا تحتفظ بماء، وتدمي الأقدام التي تسير عليها. هكذا أنا وصفت نفسي وأنا عائد مع كريمة، وفي ليلتها افترقنا، لأنني رميت عليها اليمين وأصررت أن تبيت ليلتها عند أهلها.
بعد فراقنا بسنتين قابلتها، تجر طفلين، نعم طفلين، وكانا توأمًا، توقفت وسلمت عليّ وكادت تعانقني، فسألتها من هذان؟ ضحكت بعذوبة، وقالت: إنهما ولداي، تزوجت بعدك يا منصور، وقبلت أن أكون زوجة ثانية عن طيب خاطر، لمدرس زميل لي، وصارحتُ زوجته بأنني لست طامعة فيه طيلة الأسبوع، يكفيني يوم واحد، أشعر فيه بأنني أنثى، وقد أحبّني، ورزقني الله بتوأم، ولدين جميلين، سيحملانني عندما أكبر وأشيخ، وسأحكي لأحفادي عما تعلمته من الحياة، سأحكي لهما عن كل شيء جميل عشته، حتى أنت يا منصور، سأخبرهما عنك، لأنك أول رجل في حياتي، أعطاني حبًّا مختلفًا. قلت لها: قد شعرت بحبك وعطفك كأنني ابنك وزوجك وأخوك. كانت مشاعري معك مختلطة دائمًا، ولكنها رائعة.
(يمسك بصورة، ثم يضحك بهستيريا)
أهذه أنت يا أم سلامة، إنها الخاطبة التي كنت أقصدها عندما لا أجد حريمًا للزواج، كانت تعرض علي أشكالا وألوانًا من الفتيات والنساء، ولكن كانت شروطي واضحة، لا أريد فتيات صغيرات، ولا زواج المحلل، ولا أمهات بأطفال، أريدها في وسط العمر، متفرغة للحب.

كانت تضحك وأنا أعرض شروطي في كل مرة، ثم أخرج بعدها وقد اخترت العروس ورتبت مقابلة معها، وفي اليوم التالي يتم الزواج، لا تسألوا كيف، فكلهن نساء في حاجة إلى ظل رجل، وأنا في حاجة لحنان الأنثى، هن يعشن معي شهورًا أو سنة أو سنتين ثم نفترق، واكتشفت أن بعضهن مثل نوارة، يتنقلن بين الأزواج دون غضاضة، المهم أن تجد رجلا حلالا في حياتها.

وتعلمت ألا أخرج من أي زواج بذكرى حزينة، ونتفق أن نسعد بعضنا البعض، حتى إذا مللنا، وضجرنا، يمكننا أن نفترق متفقين متفاهمين.

(يضحك، حتى يستلقي على قفاه من الضحك)

في مرة ذهبت إلى أم سلامة، فأحضرت لي الشاي، ثم سألتها عن عروس، فضربت كفيها وقالت: السوق نائم هذه الأيام، حظك سيء يا منص.

نظرتُ لها بغيظ، فوجدتها تبتسم بشفقة علي، ولكنني ولأول مرة ألمح أنوثتها، فقلت لها ساعتها: أتزوجك أنت يا أم سلامة؟ المرأة ضحكت، وقالت: أنت عبيط، هل هناك من يتزوج الخاطبة؟ فقلت: أنا. قالت: براحتك.. أنا موافقة. تزوجتها في بيتها شهرين ثم طلقتها بطلب منها، بعدما زعل أولادها منها.

ومن أحل تطييب خاطري أحضرت لي عروسًا.. من كانت **(يتساءل ثم يجيب)** كانت نوارة. وعرفت بعدها أنها صديقتها المفضلة.

(يترك الصور والقسائم، ثم يتجه نحو الطبلة، فيضرب عليها ببراعة)

عندما ذهبت مع دندنة لحفلة سماسم في الميريديان بحثت عن الطبال والصاجات والرق، لم أجد إلا شخصًا واحدًا يسمونه "الدرامز"، يتحكم في خمس آلات إيقاعية، ساعتها عرفتُ لماذا استغنت الفرق عني. وأدركت أن المعلم صاجات كان محقًّا عندما ودّع عالم الفرق وافتتح تجارة

غلال، حتى محمود دندنة، ترك الأكورديون وافتتح استوديو للتصوير، وهو يقول لي: الأورج قضى علينا، ولا مكان لنا في أفراح هذه الأيام، ونصحني أن أفعل مثله، ونسى أنني موظف وأن معاشي سيكفيني، فقد أخذت من الدنيا كل شيء. وعندما دعاني دندنة لعرس ابنه ذهبت، وظللت جالسًا ساعة أنتظر الفرقة فلم تأت. فقط موسيقى وأغانٍ في جهاز التسجيل، والكل يغني ويرقص معها. فسألته: أين الفرقة يا عم دندنة؟ ضحك، وهو يقول: الموجود الآن "دي جي"، هذا الذي تسمعه ويرقصون عليه، أنصت ثانية، كان صخبًا ممزوجًا بهرج.

قمت مغادرًا الحفل أحاول ترديد كلمات أية أغنية سمعتها، فلم أجد إلا ما أسعفتني به ذاكرتي من حفلات زمان.

(يضرب ثانية ببراعة، بنغمة واحدة ونصف)

فعلا يا سناء، سارت حياتي على واحدة ونصف كما قلت.

تخيلت أنني صانع الرقصات والمرح، فاكتشفت في النهاية أنني أطبل لنفسي كي أرقص في الدنيا وحيدًا، حتى عندما عدت لبلدي مغاغة بعد سنوات لم يعرفني الناس في الشوارع، وشعرت بغربة وسط أهلي، وعندما حضرت عرس ابن أخي وأمسكت الطبلة، خيّم الصمت على الجميع، وابتسموا لي مجاملة.

نعم، رقصت في الحياة كثيرًا، وكنت دائمًا أعود لوحدتي. **(يضرب واحدة ونصف مرات ومرات)** هي نغمة رقص مكرورة، وهكذا كانت حياتي، نغمات متراقصة، ولكنها مكرورة في أحداثها.

الأفضل لمن هم مثلي أن يعيشوا في ماضيهم، فالحاضر ليس لهم، والمستقبل خلفهم.

(تمت)

مسرحية
سوق الكلام

الفصل الأول

(شقة فارهة في أحد الأبراج العالية، حيث تبدو من النوافذ الزجاجية شوارع المدينة الواسعة؛ اللامعة تحت ضوء الشمس، وتبرز جوانب من البنايات والأبراج الحديثة منتصبة في سماء المدينة. في غرفة المدير العام الواسعة أمامنا نرى أثاثًا مكتبيًا فاخرًا: طاولة اجتماعات بيضاوية، بمقاعد جلدية حولها، وأنتريه فخمًا، وهناك شخص يعطينا ظهره، يجلس خلف مكتب عريض في جانب من الغرفة، يتيح له التطلع إلى الخارج عبر النوافذ الزجاجية. يستدير "ماجد" لنرى وجهه وشعره المسترسل، وأناقته المفرطة، ببذلة غالية الثمن، ونظارة طبية بإطار ذهبي، وهو يتحدث في هاتفه المحمول، وقد تحرك من موضعه، فنشاهد ملامح شاب ثلاثيني، ممتلئ الجسم، يتخاتل في مشيته)

ماجد: (محركا كفه، متكلمًا بثقة عالية كأنه رجل أعمال) كما قلت لك يا "تامر"، نحن لدينا رؤية واضحة، إننا ندافع عن حقوق الرجل بكل ما تعنيه الكلمة. **(يستمع وهو يطرق بإصبعه على زجاج المكتب)** نحن رجال شرقيون، لدينا ميراث من التقاليد والقيم، ومهمة جمعيتنا الدفاع عن هذا المفهوم الذي ضاع في حياتنا الحديثة، ومن هنا عليك أن تعلن لدى معارفك وتقدم في برنامج رسالة جمعيتنا وشعارها. **(يسكت بعض الوقت وكأنه يفكر، وهو في الواقع ينصت لمستمعه، ثم يفتح أجندة جلدية أمامه ويقرأ فيها)** شعار الجمعية: "الرجل الشرقي قيم ترتقي". أما رسالتها: "حقوق الرجل الشرقي أولا". وعليك أن تسجل هذا عندك أيها المذيع الهُمام. **(يضحك ماجد وهو يتنقل في الغرفة، وينظر إلى النافذة. ويرد متعجبًا)** يا عم أخيرًا تذكرت التهنئة، الله

يبارك فيك، الجمعية مسجلة منذ مدة. **(يتلعثم)** حوالي شهرين أو ثلاثة، ليست مشكلة، المهم أن تقوم بشغلك، وهذه بادرة تعاون بيننا وبينك، وسترى براعتي في تسخين الحوار. **(ينهي المكالمة، وينادي على زميله في المكتب)**

ماجد: (وهو يرفع صوته مكررًا الاسم) صلاح.. صلاح.

(يدخل شاب يقارب عمر ماجد وهيئته وإن كان هندامه متواضعًا)

صلاح: آمرني يا رئيس الجمعية.

ماجد (يقول هازئًا): يبدو أنك تعودت على رنّة الجرس أو الحديث في "الإنتركم"، تعال يا صلاح، البساط هنا أحمدي ولا ضيوف عندنا، لما أنادي عليك تأتِيني فورًا، أنت مكتبك في الصالة، يعني قفزة واحدة تكون أمامي.

صلاح: أنا رهن الإشارة، وكلي آذان طاغية يا صاحب العِبارة.

ماجد (منتفخًا ومتظاهرًا بتجاهل النفاق): اتصلت بتامر، واتفقت معه.

صلاح (مستفسرًا): على أي شيء بالضبط؟

ماجد (بخبث): ألم تسمع الحوار كله كعادتك؟

صلاح (معترفًا): أنا الكلام يأتيني حتى مكاني، ولا أتنصت يا سعادة الباشا، فلا ذنب لأذني إن وصلها جزء من الحوار، ولم يصلها الباقي.

ماجد (مبتسمًا): برر وأمعن في التبرير لكل فعل.. هكذا أنت منذ عرفتك.

صلاح: من بعض ما عندكم يا رئيس الجمعية.

ماجد: نعود إلى ما كنا نقوله. تامر كلامه كثير، وأسئلته أكثر.

صلاح (مصطنعًا التعجب): كيف هذا يا باشا؟

ماجد: كأنه غير مصدق لما أقوله عن رسالة الجمعية، وفكرتها، وشعارها.
صلاح: صحيح كلامه. الجمعية جديدة، وفكرتها لا يصدقها عقل.
ماجد: أنت تتكلم مثله، ولماذا نذهب بعيدًا؟ هو صديقك، ويبدو أنكما متفقان.
صلاح: أبدًا.. أبدًا، عندما حدثته عن التعاون معنا بدا غير مستوعب للموضوع، ففضلتُ أن يحدثك مباشرة، فأنت الرئيس و"القومندان" والعقل المفكر.
ماجد: وها أنا حدثته، واكتشفت أنه متورم الدماغ، بطيء الفهم.
صلاح: لا تحمل همًّا، سأقوم أنا بالباقي، وأتواصل معه،كما تواصلت مع غيره من الشخصيات الإعلامية، مذيعين، ومعدّين، وكتاب، وستجد أفضل دعاية لنا خلال الأسابيع القادمة. (مستدركا كلامه) وهذا بالطبع من إرشاداتك وتوجيهاتك السديدة لي، فأنا في النهاية "مسجل ومطبِّق" لأفكارك وإلهاماتك التي تجود بها علينا، بل أنا "ريموت كنترول" في يدك، وكل الحملة الإعلامية القادمة عن جمعيتنا ستكون أنت المتحدث الأول فيها.
ماجد (متفلسفًا بعد الإطراء): طبعًا، أفضل من يستطيع التحدث عن الفكرة هو صاحبها، خصوصًا إذا كانت الشعلة التي ستشعل الأذهان، وتثير الألباب، وتجعل العيون تتقلب في المحاجر، والأسئلة تتراكم على الألسنة.
صلاح (مصفقًا مهللا): الله عليك يا زعيم، ربنا يزيدك فصاحة وبلاغة، تتحدث كأنك زعيم الأمة المفدى، مفجر ثورة 19 وقائدها.. سعد باشا زغلول.
ماجد (منتفضًا): اخرس يا أحمق، أنت غبي ومنافق.

صلاح (بسرعة): أنا.. أنا ذراعك الأيمن يا زعيم.
ماجد (مقاطعًا): أين سمعت سعد زغلول وهو يخطب، ولم يكن في عصره تسجيلات ولا "يوتيوب" ولا يحزنون، أقول لك إنك أحمق.
صلاح (منتبهًا): هذه فعلا فاتتني، ولكن من كثرة عملي في الصحافة، وقراءتي للمقالات؛ عرفت هذا عن سعد باشا.
ماجد: أي شغل في الصحافة يا أحمر الخدين؟ أنت لو طلعت أو نزلت في سنوات شغلك بالصحافة كنت مجرد مصحح لغوي.
صلاح (مصححًا): لا تؤاخذني يا كبير، أنا كنت "ديسك" خبرة ومشهور، ولا تنس أن الجرائد كانت تطلبني بالاسم، **(بعنترية مصطنعة)** ولكنني أَبيتُ بشدة، وتمسكت بالعمل مع سعادتك، إيمانا مني بفكرك السامي، ورسالتك العظيمة.
ماجد (ناظرًا إليه باستهزاء): أية جرائد أنت رفضت العمل فيها؟ منذ أن فصلوك من المدرسة الخاصة التي كنت تشتغل فيها بالحصة، وأنت لصقت فيّ، وتبعتني في كل مكان، بل شاركتني في حياتي: طعامي وشرابي وملابسي.
صلاح (مذكِّرًا له): لا تنس أننا أصدقاء من زمان، منذ أيام الجامعة، رفقة سكن واحد، وتسكعنا كثيرًا في الشوارع، عندما كنت أعزمك على الوجبات الثلاث، إفطار وغداء وعشاء، وكما تعلم الدنيا متقلبة، مرة لك ومرة عليك.
ماجد (باستخفاف): كانت أيامًا، ربنا ما يعيدها علي وعليك.
صلاح: (منتهزًا الفرصة، مسترجعًا لغة الصداقة القديمة) وكان وجهي حلوًا عليك، فجاءك النجاح ثم الليالي الملاح، فقد تخرجنا في سنة واحدة، وانتهت حياتك الجامعية بعد سنوات من الكفاح المتكرر

للنجاح. وأتذكر أننا سهرنا للصباح ليالٍ متتالية، نحتفل بتخرجنا في الجامعة وانتهاء المذاكرة والمذكرات، ومتاعب الأساتذة. وفعلا كانت ليالي الاحتفال بالتخرج هي الليالي الملاح وهكذا تكون الصداقة الحقة.. فرحة وعطاء وتسكع.

ماجد (متذكرًا أيامًا جميلة): نعم كان كفاحًا، وكانت صداقة، صحيح أنها صداقة فقر، ولكنها صنعت ذكريات سعيدة، نتذكرها في أيام الغنى **(بسخرية)** وما كان سهرنا في ليالي الملاح إلا مجبرين، فلم يكن لدينا سكن خاص، فلجأنا إلى السكن العام، في محطات المترو نهارًا، ومحطات الأوتوبيس ليلا.

صلاح: ربنا ما يرجعها، تكفينا الذكرى في زمن الغنى، فأنا ضد نظرية التاريخ يعيد نفسه، فالتاريخ يتقدم مثل عمر الإنسان، يتقدم ولا يرجع للخلف، فالكهل لن يعود شابًّا، والعجوز لن يكون طفلا.

ماجد (ناظرًا له بإعجاب): لقد تعلمت الخطابة والفلسفة مني يا "أبا الصلح".

صلاح: وهكذا التلميذ النجيب، يتعلم ليساند أستاذه ورفيق حياته وكفاحه، وإن شاء المولى ستحتاج لي عندما تصبح نجمًا لامعًا في الحياة الإعلامية.

ماجد (حالمًا): نعم، فما خططت له سينجح بلاشك، لأنها فكرة جديدة، ستكسر النمطية، وتهدم المعهود، وتحطم الفكر السائد.

صلاح (معجبًا): فعلا، كلما تحدثت مع أحد عن جمعيتنا الجديدة يتعجب ويندهش، وبعضهم غير مصدق، ويقول لي: جمعية الرجل الشرقي.

ماجد: وهذا ما نريده يا صلاح، فالناس تبحث عن الجديد والمختلف،

وأفضل شيء السباحة عكس التيار.

صلاح (مستفهمًا): أنا معك يا زعيم فيما تقول، ولكن لم أفهم حتى الآن معنى: السباحة عكس التيار. ما علاقته بجمعيتنا الموقرة؟

ماجد (ناظرًا له بإشفاق وتعالٍ): لا فائدة منك، أريدك أن تلتقطها وهي طائرة، مادمت تعترف أنني بليغ فصيح.

صلاح (مجاملا): طبعًا أنت ملك البلاغة والفصاحة، ولكن أي شيء ألتقطه يا عم الباشا الكبير، المؤسس القدير؟

ماجد: عندما أقول السباحة عكس التيار. معنى هذا أنني سأقول ما يجعلهم يختلفون معي ويعارضونني.. بل يهاجمونني.

صلاح (مصدقًا): نعم، وهذا صحيح، وهذا ما قالوه لي، لماذا تفتحون عليكم بوابة جهنم، خاصة البنات والمثقفات، غير الرجال المساندين لهن.

ماجد (موضحًا بفلسفة): وهذا ما أريده بالضبط، فالشهرة لن تأتيك إذا قلت ما يقولون، ورددت ما يرددون، وتغني على ليلاهم، بل ستأتيك الشهرة عندما تخالفهم فينتفضون، وتعارضهم فيتكلمون ضدك، وسترد عليهم بلاشك. **(ينظر لصلاح، فيجده مطرقًا، يستحثه على المزيد، فيواصل)**

ماجد: وتخيل اسمك يتردد في كل وسائل الإعلام، والكل يتحدث عنك، وعن فكرك المختلف المدعم بالحجج والبراهين.

صلاح: ولكنك في النهاية ستتعرض لحملات هجومية وسخرية وكاريكاتير، وهذا ليس جيدًا لك، لأنك في مرمى النار، ومحط الهجوم.

ماجد: للأسف لي شهور أقنع فيك، ولم تفهمني حتى الآن، رغم أنك ساعدي الأيمن في الشغل كله.

صلاح (مصححًا له ومسايرًا): بل ساعدك الوحيد حتى الآن، ودائمًا نتعلم منك يا فيلسوفنا وحكيمنا.

(يتحرك من مكانه مستمعتًا بالحديث، ويذهب إلى ركن بالغرفة، حيث يعدّ كوبًا من الشاي ويضع عليه السكر، وهو يسترسل في الحكي، ويتبعه صلاح وينال كوبًا من الشاي مثله)

ماجد (ساردًا): أنا قضيت خمسة عشر عامًا في الصحافة، أركض وراء الأخبار الجديدة والطريفة، وأُجري لقاءات صحفية، وأتزلف للنجوم والشخصيات العامة والمثقفين من أجل حوار، وحاولت بكل الطرق أن أصل للشهرة، فاكتشفت أنها مغلقة على وجوه محنطة، هي نفسها في كل قضية متحدثة، وتتسابق لهم المحطات والإذاعات والصحف، وتكتشف أن كل شخصية مختصة بقضية واتجاه معين ولديها خبرة في الكلام، ولا ينازعها أحد في ذلك فباتوا نجومًا على الشاشات، وهذا ما تريده شركات الإعلانات، فإذا طلبوها لحوار تعرف كيف تتكلم، وتشعل الحلقة، وتجذب المشاهدين، وطبعًا كل شيء مدفوع القيمة، والإعلانات تتوالى.

صلاح: فعلا، كلامك صحيح يا كبير.

ماجد (مواصلا): أعرف أحدهم جمع في ليلة بالدولار- وليس بالعملة المحلية المأسوف عليها- عشرة آلاف دولار، من أربعة برامج في المحطات الفضائية، واشترط عليهم أن يأخذ المال قبل الظهور في البرنامج، وإلا فهو سيحرق الحلقة ويميتها بكلامه، فدفعوا له بسخاء، واستطاع هو بذكاء أن يشعل الحلقات، كل حلقة بتفجير جديد، وقضية مشتعلة.

صلاح (غير مصدق): كيف ظهر في أربعة برامج في ليلة واحدة؟! أقصد بنفس البدلة والوجه والكلام، شيء ممل، والمشاهد ليس غبيًّا.

ماجد (متعالمًا): هذه ليست مشكلة، القنوات كلها في مدينة الإنتاج الإعلامي، والملابس في السيارة معلقة، يمكنه تغيير الكرافتة أو البدلة كلها، ويغير تسريحة الشعر، والمكياج مجانًا في القناة قبل الهواء.

ماجد: (يسكت ثم يستدرك) ومن قال لك إن المشاهد سيرى جميع البرامج في ليلة واحدة؟ المشاهد يرى برنامجًا أو اثنين، ولا طاقة له لجميع البرامج، فاللعب يكون على كثرة المشاهدين، ولا يهم من انتبه أو لم ينتبه لتنقل الضيف.

صلاح: ياه، هذا عالم ثانٍ، لم نعرفه من قبل.

ماجد (مواصلا): لذا قررت وسط هذا الطوفان أن أجد موضعًا لقدمي، وبدلا من التفكير كما يفكر الآخرون، فكرت أن أسير بالعكس، فإذا كان هناك من يهاجم سطوة الرجل وتحكماته من الشخصيات النسائية المدافعات عن نون النسوة وحقوقها، فإن هناك من يدافع عن الرجل وحقوقه.. وأيضًا تسلطاته، ألا وهو أنا.

صلاح (مجاريا له): يعني تقلب الطاولة على الجميع، وتغرد ضد ما يقولون.

ماجد: بالضبط، وهذا ما أردته، وخططت له.

صلاح: ولكن السؤال الذي يحيرني: من أين أتيت بكل هذه الأبهة، شقة في برج وسط العاصمة، وأثاث فخم وغيره كثير؟

ماجد (باستنكار وغموض): أنت سألتني هذا السؤال مرات، وأنا أخبرتك في كل مرة، وقلت لك: معنا ممول له نسبة في النهاية. **(يصمت ثم يكمل)** وأنت كل ما يهمك يا عم صلاح هو راتبك والسلام، وأنا "سأشيل الليلة" في النهاية إذا فشلت.

صلاح: ربنا يكرمنا جميعًا وتنجح الفكرة كلها، ونشيل معك.

(رنين جهاز النقال في يد صلاح، ينظر في الجهاز ويضحك وهو يرد)

صلاح: أهلا وسهلا بالغالية، الأستاذة مها العالية.

ماجد: من مها؟

صلاح (ينظر له وهو يحدثها): طبعًا في انتظارك، بالعنوان الذي عندك.

ماجد (متعجلا): أخشى أن تكون مها سليم!

صلاح: عندما تصلين للبرج اتصلي بي أدلك فورًا، على الرحب والسعة.

ماجد: يبدو أنها هي.. أعرفها كالنحلة.

صلاح (بعد إنهاء المكالمة): نعم هي مها سليم، وماذا في ذلك؟

ماجد: بل قل مها النحلة.

صلاح: وهي أفضل من ألف صحفية، أنت تعرفها.

ماجد: أقول لك إنها النحلة، لا تسكن ولا تركن، ولكنها تفوق النحلة، فالنحلة تقف على الزهور فقط، أما هي فتقف عند كل شيء: زهرة، قطة، كلب، شجرة، مسؤول حكومي، كل معدِّي البرامج والمذيعين. إنها بلوة متحركة، وكأنها ليست أنثى، بل رجل أعادوا تفصيله ليكون أنثى.

صلاح: توصيف دقيق، أنا أعرف أنك لا تقبلها، ولكن هذا هو الشغل بعينه، ونحن نحتاج إليها في هذه المرحلة.

ماجد (يتنهد): لا أحبها ولا أكرهها، ولكني أعرفها جيدًا.

صلاح: عمومًا هي أسفل البرج تقريبًا، وخلال دقيقة ستكون أمامك، فغيّر محيّاك إلى الترحيب، ولسانك إلى التطبيل.

ماجد: ولماذا؟

صلاح: لأنها لا تأتي إلا ومعها شغل، والشغل يعني أموالا.

ماجد (يمط شفتيه): أعرف، ولكن هي كالشريك في السرقة، تقسم معك، وتكتشف أنها تأخذ النصيب الأكبر في النهاية.

صلاح: أنت مضطر لها يا كبير، على الأقل ونحن في البداية.
ماجد: على رأيك، فعلا في البداية.
(رنين جرس الباب، يتحرك صلاح)
صلاح: سأفتح لها الباب، يبدو أنني نسيت وأغلقته، حتى الآن لم نتعود على أنها جمعية نفع عام، لابد أن يكون بابها مفتوحًا.
ماجد: لأنك معتاد على صحافة "بئر السلم"، مرات بالقطعة من بيتكم، ومرات تكتب لآخرين، يعني لم تر صحافة عليها القيمة إلا معي.
صلاح (وهو يغادر الغرفة): طبعًا يا زعيم، أنت الخير والبركة.
(صوت الباب يفتح، وأرجل قادمة، تدخل مها وهي امرأة أربعينية)
مها (تتلفت تطالع المكان وفخامته): مبارك مبارك.. مليون مبارك عليكم، برج ومكتب وفخامة **(وتشير لملابس ماجد)** وأناقة، ربنا يعطينا كما أعطاك.
ماجد (متهلل الوجه): أهلا وسهلا ومرحبًا بالصحفية والكاتبة والإعلامية المبجلة الأستاذة مها. أزهرتِ وفاح عطرك أينما حللتِ.
مها: شكرًا يا رئيس جمعية الرجل الشرقي. **(تمط شفتيها)** وعجبي!
صلاح: لماذا "عجبك" أو "عجبي"؟
مها (تجلس على مقعد فخم وتستمتع به لكونه وثيراً): عجبي من الانقلاب الهائل في دنياكم، وبنسبة 180 درجة.
ماجد (رافعًا حاجبيه): وأين الانقلاب أمامك؟
مها: شقة فخيمة، في برج عملاق، بعدما كنتم في شقة في الدور الأرضي في بيت متهالك، يقع في حارة متفرعة من حارة، توصلك في النهاية لميدان شعبي.. الله يرحمك يا "وضوح"، شفنا صحافة بدون لون: لا صفراء ولا برتقالي ولا حمراء، متلونة كل يوم، وأحيانًا في اليوم الواحد

تنشرون الخبر في الجريدة المطبوعة صباحًا، ثم تصدرون (**ترسم بكفيها علامة قوسين**) تكذيبًا أو تصحيحًا أو تفسيرًا مختلفًا مساءً، وهكذا أشعلتم الدنيا ضجيجًا، ثم اختفيت يا ماجد، لتعود بكينونة جديدة ومدهشة، وملعوبة.

صلاح (ضاحكا): ألن تكفّي لسانك الحلو عنا؟ أنت جئتِ للتهنئة أم للسخرية؟

مها: أسترجع أيام زمان، وفي الحقيقة ليس زمانًا، بل شهور مضت.

ماجد: كل هذا على جريدة "وضوح".

مها: نعم، وكنتَ تهلل لها، وتقول سنغزو بها سوق الصحافة الملوث، حتى وجدناها "غموض" وليست "وضوح".

صلاح: أنت لا تنسين شيئًا، كل شيء راح لحال سبيله.

ماجد: دعها تأخذ راحتها، لابد أن تفرغ ما في جعبتها.

مها: أين الضيافة والذي منه؟

صلاح (متأهبا): حالا، يأتيك الشاي والماء.

مها (تمصمص شفتيها): شاي ومياه؟ على كل هذه النعمة؟

ماجد (مستدركا): لم نملأ الثلاجة بعد بالعصائر والفطائر.

مها (تتنهد): طيب.. هاتوا ما عندكم.

صلاح: حاضرون لك، وهاتِ أنتِ ما عندك.

مها: ما عندي كثير، ولكن أفهم قبل ما أتكلم.

ماجد: تفهمين ماذا يا ست الكل؟

مها: ما قصة الجمعية الجديدة؟

ماجد: جمعية للدفاع عن الرجل الشرقي، والانتصار لكرامته المهدرة.

مها (بخبث): أسألك عن القصة، يعني من وراءها ومن يمولها، دعك

من السفسطة التي هي بضاعتنا المعتادة.
ماجد (بجد): اعتمدنا على قدراتنا الذاتية، هذا شقا عمري.
مها (بخبث أكثر): من الممول؟
صلاح: ولماذا الإلحاح في السؤال؟
مها: ليطمئن قلبي، وأعرض ما عندي.
صلاح (يقدم لها كأس الشاي، مع قنينة ماء، ومناديل معطرة): تفضلي يا صاحبة العصمة في بلاط صاحبة الجلالة.
مها (وهي تتجرع الماء): طبعًا صاحبة العصمة، لا تنس يا صلاح مكانتي عند الكبار، وتقديرهم لخبراتي الصحفية وعلاقاتي الواسعة. **(وهي ترتشف الشاي)** من الممول لك يا سعادة رئيس الجمعية الموقرة؟ لا أصدق موضوع "شقا عمري وقدراتنا الذاتية".
ماجد: ارتاحي يا مها، هناك ممول، ولكنه فضّل إخفاء اسمه مؤقتًا، لحين استقرار الأوضاع.
مها (متظاهرة بالاقتناع): المهم ألا تكون مثل تجربة جريدة "وضوح".
صلاح: وماذا كان في "وضوح"؟ كان فيها كل خير ومصلحة.
مها: لن نكرر الكلام، وما حدث مع الصحفيين أقلقني وجعلني شكاكة.
ماجد: لماذا؟ هل أكلنا عليك مكافآت لا سمح الله.
مها (معترفة بنبرة ساخرة): معي أنا لم يحدث، ولا يجرؤ أحد أن يفعلها فأنا صحفية ذات أنياب وحشية وقلم مسنون. **(تستدرك)** ولكنه حدث مع آخرين، من الصحفيين الشباب الذين تحدثوا عن الأظرف المغلقة التي تذهب لناس بعينهم، وهم مساكين لم يروا أي أوراق، اللهم إلا ورق الجريدة الرخيص الأصفر.
ماجد (مبتسمًا): كانت تجربة وانتهت يا مها.

مها: طيب يا ماجد، وماذا فعل ممول "وضوح" وقد خسر كل أمواله، وهو يرى أعداد المرتجع هي نفس الأعداد المطبوعة؟

صلاح: أنت تقلبين المواجع؟

مها: أحب أن أعرف فقط. من باب العلم واكتساب الخبرة.

ماجد (بدهاء): صحيح أنها خسرت في الظاهر، ولكن الممول لم ينزعج، فقد حققت الجريدة هدفها بالنسبة إليه.

مها: كيف ذلك يا سيادة رئيس التحرير سابقًا.

ماجد: لقد أرادها وسيلة للضغط السياسي على الحكومة وعلى شخصيات عامة ورجال أعمال وخلافه، وقد كان، وحقق كل ما أراده، وبالتالي طلب منا إغلاق الجريدة. **(يواصل بعد توقف محسوب)** أما عن أعداد المرتجع، فتلك إشاعة أطلقناها في سوق الصحافة تمهيدًا لإغلاقها وإعلان إفلاسها، فالحقيقة أننا كنا نطبع الأعداد على قدر المطلوب من التأثير.

مها (ضاحكة): تقصد على قدر المطلوب من التهديد؟ لقد شاهدت ربطات من وضوح في مفرمة المطابع الأميرية، وتعجبت من هذه الخسارة.

صلاح: صحيح، ونحن الذين أرسلناها لنقنع الآخرين أننا خاسرون.

مها (متوجهة لماجد): توقعت هذا، فأنت رجل الصحف المغلقة دائمًا؟

ماجد: تذكّري لنا خيرًا.

مها: وهذا كل الخير، لديك القدرة على إنشاء الجرائد وسرعان ما تنغلق.

صلاح: للأمانة الأستاذ ماجد لا يغلق الصحف، ولكن هكذا سارت الأمور.

ماجد: وبالمناسبة، أؤكد لك أن جريدة وضوح لم تُغلَق، بل توقفت وتم

بيع الترخيص لشخصية أخرى، وستصدر قريبًا بعنوان جديد.
مها: ربنا يزيدك من نعيمه يا ماجد، وترمي بعضه علينا.
ماجد (مبتسمًا، وهو يغير الحديث): اللهم آمين.. هات ما عندك يا وكالة أنباء متحركة، وعميدة "البيزنس" الصحفي المتألقة، ووكيلة القنوات الإعلامية الزاعقة.
مها: شكرًا على المديح والإطراء، زيارتي اليوم لوضع النقاط على الحروف.
ماجد: تمام.. أنتِ الحروف أم النقاط؟
مها: أنا التي أقرأ وأقرر في النهاية، وأشكل الحروف وأضع النقاط.
صلاح: اسألي وسجلي، وسنقدم لك الصورة بوضوح.
مها (ساخرة): لا داعي لكلمة وضوح مرة ثانية، فأنا أتشاءم منها.
ماجد (ضاحكا): حسنًا.. قولي ما عندك.
مها (بجدية): ما أهدافكم تحديدًا من جمعيتكم الجديدة؟
ماجد (وكأنه يحاضر): الانتصار لحقوق الرجل الضائعة أمام الهجمة الشرسة من أنصار حقوق المرأة، فقد صارت حقوق المرأة هي الصوت العالي، حتى باتت النسوة في البيوت متحكمات ومسيطرات، وبعضهن يضربن أزواجهن، وإذا اشتكى الرجل من هذا العسف، انبرت عشرات الجمعيات والشخصيات النسائية تهاجم التسلط الذكوري الذي يعيدنا إلى عصر الحرملك، حيث المرأة المستكينة.
مها (تهز رأسها): أحتاج لتفاصيل أكثر.
ماجد: ما أكثر التفاصيل والأحداث الدالة على ذلك. خذي مثلا قضية لم يتوقف عندها أحد ليعرف ما وراءها: أستاذة جامعية رفعت دعوى الخلع ضد زوجها بعد عشرة أكثر من ثلاثين عامًا، لأنه أصبح لا يتناسب مع مكانتها الجديدة في المجتمع، حيث أصبحت عضوة في الحزب

الحاكم، وهو مجرد موظف على المعاش، لا يملك دكتوراه، وليس لديه طموحات في الترقي الاجتماعي والسياسي.

مها (مستغربة): معقول! إنها وقاحة.

صلاح: وأكثر من ذلك، أن هذه الأستاذة الجامعية وقفت في المحكمة وصممت على الخلع، لتكون نموذجًا حيًّا أمام كل امرأة في الوطن ترغب في الخلع دون أية عوائق اجتماعية، وتتحدى في ذلك كلام الناس.

ماجد: بل إن هذه الدكتورة استخدمت نفوذها السياسي ومنعت الصحف من الإشارة إلى الخلع، وسربت لهم خبرًا يقول: أستاذة جامعية "دون ذكر اسمها" تخلع زوجها عن قناعة تامة أن لقب امرأة مطلقة خير من زوجة معذبة.

مها (بإعجاب): بصراحة فكرة جديدة، وستكون قنبلة الموسم بلا شك.

ماجد (مختالا): أشكرك يا مها على رأيك، وشهادتك تاج على رأسي.

مها: فعلا، أنت تعرف من أين تؤكل الكتف.

صلاح: عدنا مرة ثانية، كنا نسير للأمام.

ماجد: ماذا تقصدين يا مها؟

مها: أنت انتقلت إلى مشروع جديد بفكرة جديدة، يعني من الصحافة إلى الفضائيات، بعدما أكلت من الصحف ومصمصت عظامها، الآن تتجه إلى مجال آخر.

ماجد: النجاح يا سيدتي لا يعرف إلا الأفكار الجديدة.

صلاح: الأستاذ ماجد صحفي مبتكر، وسيتحول إلى شخصية عامة.

مها (ناظرة لماجد): يتحول إلى شخصية عامة؟ رائع جدًا. ولكن تاريخك السابق يطاردك يا أستاذ ماجد، فالشخصيات العامة في دائرة اللهب.

ماجد: تاريخي مشرف، وأية معلومات متداولة عني هي مجرد ادعاءات

لا دليل عليها. لا تنسي يا مها أنني خبرة في مهنة الصحافة، وكنت رئيس تحرير متميز.

مها (بخبث): ليست مشكلة أدلة، فمعلوم أن الأدلة لا قيمة لها أمام الشائعة، يكفي أن تنتشر الشائعة لتلوث سمعتك، ومهما تنفيها فلن يصدقك أحد.

ماجد: وبم تنصحيننا يا سيدة الصحافة؟

مها (ساخرة): لا أنصحك ولا يحزنون، أنت داهية وتعلم كل شيء، أريد فقط أن أحذرك أن أشد ما يواجه الشخصيات العامة هو تاريخها السابق.

(تواصل بنفس طريقتها الهازئة) وأنت رائد الصحافة الصفراء، وسيد إصدارات "بئر السلم"، بل أنت رجل الشائعات الأول.

ماجد: ارحمينا من نعوتك المتدفقة، لم تتركي نقيصة إلا وذكرتِها.

مها: أنا أوضح لك مقدمًا، وفي النهاية نحن سنقوم بعمل "بيزنس" ولابد أن نتحسب لردود الفعل المتوقعة، والظهور على الشاشات له حساباته.

ماجد: ما دخل هذا بموضوعنا؟ أنا أتكلم عن حقوق الرجل!

مها (بدلع): ستجد من يقول لك: العب غيرها يا جميل، لا تتاجر بشعارات بعدما تاجرت بالشائعات في صحفك السابقة.

صلاح: ماذا تعنين يا أستاذة مها؟

مها (وهي تنقل بصرها بينهما): غرضي يا جميل أنت وهو؛ أن تعدّا ما تقولانه عندما تسألان عن رسالتكما الجديدة، وماضيكما القديم، وسيطاردونكما، نفوس الصحفيين والإعلاميين فيها ما فيها، فتحسّب لذلك.

ماجد (متفكرًا): فهمت غرضك، ووصلت رسالتك. **(ينظر إلى صلاح).**

صلاح (مغيراً مجرى الحوار): يكفي هذا، ممكن نتكلم في الشغل؟
مها: لا مانع عندي، هيا تكلما.
ماجد: كيف ستكون خطتك في التعاون معنا؟
مها: سأتحدث مع معدي البرامج في الفضائيات، ونقوم بحملة صحفية جيدة من خلال معارفنا وأصحابنا في الصحف.
ماجد: رائع.. دائمًا أنت مبدعة.
مها: أحب أن أقول شيئًا، إن عمولتي 30% عن كل أجر تأخذه، ويأتي عن طريقي، **(بحزم)** ولا مجال للتفاوض في هذا.
صلاح: هذا كثير جدًا يا أستاذة مها، النسبة الشائعة من 10% إلى 15%.
مها: هذه نسبتي، وأنت تعلم أنني جادة، ولا أقدم وعودًا فقط.
ماجد: وأنا موافق.. المهم نبدأ.
مها (تتأهب للانصراف): إذن اتفقنا، والحساب أولا بأول، لا يوجد عندي تأخير، ولا ننتظر لأول الشهر أو آخره على طريقة الموظفين.
صلاح: كلامك معناه تشكيك.
مها: لا، بل تأكيد يا ذكي، أنا حسابي يصلني بعد الحلقة فورًا، سواء بالليل أو بالنهار، يعني: تقبض تُقبضني.
ماجد: أنت تأمرين يا غالية، ولن نختلف، فأنا وأنت وصلاح واحد.
مها: لا، نحن ثلاثة، ولا تنس أنك رجل شرقي تعارض امرأة عصرية.
صلاح (ضاحكا): وكيف سيكون نشاطك؟
مها: سأضع خطة، وأجري شعارات لكم، وسترون النتيجة أولا بأول.
ماجد: كيف ستكون؟ هل سنراها أولا بأول؟
مها (ضاحكة): تابعوني على الإنستجرام، وعلى صفحتي على الفيس بوك، وحسابي على تويتر، سترون المفاجأة الهائلة التي ستشعل سوق

الكلام في البلد.

صلاح (مستنكرًا): سوق الكلام.

مها (بخبرة): طبعًا، نحن نبيع الكلام ونقبض، والناس تحتاج لما تتكلم فيه وحبذا لو كان سطحيًّا تافهًا غارقًا في التوابل الحريفة والشطة الحارة، حتى لا تسكت، ثم تبدأ تفكر في الأمور المهمة.. والخطرة أيضًا.

ماجد (مسرفًا في المجاملة): هذا شغل عالٍ، وكلام سيدة محنكة، أنت مكسب للصحافة، وإضافة للجنس اللطيف، ونموذج للمرأة الناجحة.

مها (ضاحكة): كن ثابتًا على مواقفك، المرأة العصرية لا تصلح إلا للحياة المنزلية؛ انتظار ابن الحلال، والحمل والرضاعة وخلافه.

ماجد: بهذا بدأنا الشغل، وعرفت أنك وعيتِ رسالتنا.

مها (تنظر لساعتها): ذكّرني مرة أخرى باسم جمعيتك.

صلاح: جمعية الرجل الشرقي.

مها (ضاحكة): اسم غير جذاب إعلاميًّا والأفضل تغييره.

ماجد: أشيري علينا يا خبيرة الإعلام.

مها (بسرعة): لقد فكرت.. الاسم المثير يكون "جمعية سي السيد"، ولا بأس من الإبقاء على الاسم القديم، وطرح "سي السيد" للشهرة.

صلاح: سي السيد؟!

ماجد (ببطء كأنه يفكر): رائع جدًا، صاروخ فعلا.

مها: وهذا أول الشغل، وسيكون الاسم عربونًا مني لكم.

صلاح: فعلا اسم مثير.. مدهش.

(مها تجدد النظر في ساعتها وتتحرك مغادرة في عجلة من أمرها)

ماجد: (يتبعها وهو يغني وكأنه يذكرها بإلقاء السلام)

يا جريد النخل العالي ميّل وارمي السلام

روحي يا أيام وتعالي ده اللي ضناه الغرام

مها: (تنتبه فتتوقف، وتضحك) لم تنس أيام المسرح يا ماجد.

ماجد: أبدًا.. أيامه معششة في قلبي.

مها: (تكمل الأغنية بصوت رخيم)

يا ملالي في العلالي يا أحلى من الأحلام

بكره ينول المرام بكره ينول المرام

ماجد (يرد عليها):

يا جريد النخل العالي ميّل واريِ السلام

(يضحكان، وتنصرف مها، فيما يعود ماجد إلى مكتبه، وهو يتمتم)

ماجد: فعلا سيدة مخضرمة في المهنة، ونحتاج لها بالفعل.

(يمسك هاتفه المحمول، ويتحدث فيه)

ماجد: أهلا يا بالمذيع الكبير تامر بك، أعلمك أننا غيرنا اسم الجمعية إلى "جمعية سي السيد"، وعليك أن تتحرك بهذا الاسم.

ماجد: نعم يا تامر، ونريد أن نرى همتك بسرعة. **(بعد أن ينهي المكالمة)** أنتظر الجديد منك، وانتظر منا البقلاوة والبغاشة.

(يدخل صلاح ويقف أمام ماجد، وقد حمل وجهه تعبيرات متسائلة)

ماجد: ماذا يشغلك؟

صلاح: أشعر أن مها تستغلنا.

ماجد: أختلف معك، إنها عملية واضحة وفاهمة.

صلاح: كما ترى يا زعيم. ولكن ما حكاية المسرح وجريد النخل العالي؟

ماجد (ضاحكا): لقد كنت ممثلا مسرحيًّا كبيرًا، وتعرفت على مها ونحن نؤدي بروفات مسرحية "يا طالع الشجرة" لتوفيق الحكيم لنقدمها على مسرح الجامعة، ولأن النص المسرحي كان رمزيًّا كنا نغني أغنية "يا

جريد النخل العالي" بين البروفات، وأنا بالمناسبة الذي بدأت بالغناء، ثم وجدت مها تسايرني، وتزعمت أنا وهي القعدات كلها، نغني ونطرب الشباب، وكانت أيامًا جميلة.

صلاح (متفاجئًا): لم أتوقع هذا، يبدو أنها قصة حب قديمة، ليتها انتهت بزواج، كانت ستوفر علينا العمولة، ويصبح "زيتنا في دقيقنا".

ماجد (ساخرًا): مثلي أنا ومها لا نتزوج، كل واحد فينا ندٌّ للآخر، نتعرّف أنا وهي ونتصادق، ويكون بيننا مصالح لا بأس من ذلك، ولكن لا نحب ولا نتزوج.

صلاح: حكيم والله.

ماجد (مبتسمًا): أنا مطمئن كثيرًا، سنبدأ الشغل سريعًا، وسترى أصداء جمعيتنا الجديدة في حديث المدينة.

صلاح (مؤكدًا): وأنا متفائل ومطمئن مثل سعادتك، وفي قلبي بطيخة صيفي.

ماجد (ينظر له شذرًا): لا فائدة فيك.

صلاح: لماذا يا زعيم؟

ماجد: للأسف صديقي وساعدي الأيمن ورفيق كفاحي منافق وغبي، ولا رأي له.

صلاح: لا بأس، بالشطر الثاني، يكفيني الشطر الأول من كلامك: صديقك وساعدك الأيمن، ورفيق كفاحك، وأيضًا **(يغمز بعينه)** مخزن أسرارك، وكاتم تحركاتك.

ماجد (مبتسمًا): صحيح.. سحبت الشطر الثاني من كلامي.

الفصل الثاني

(نفس ديكور المشهد السابق، يضاء المسرح عن استديو لبرامج الـ "توك شو" ونشاهد فيه جزءًا من حلقة برنامج حواري يجلس فيه ماجد مرتديًّا بذلة أنيقة، وحوله شخصيات نسائية، أما المذيع فهو الأستاذ تامر، وفي الاستديو جمهور متفاوت الأعمار من الفتيات والسيدات والكهول والشباب. الإضاءة صاخبة، والحوار مشتعل، والجمهور متفاعل، والكاميرات تنقل ملامح الوجوه)

المذيع " تامر زكي" (متوجهًا إلى ضيوفه في الاستديو): والآن نصل إلى نقطة حاسمة في حوارنا الليلة، ويمكن أن نصوغها في السؤال التالي: أنتن أيتها السيدات تنادين بحقوق المرأة، وتنظرن إلى الرجل نظرة دونية، وكأنه بلا حقوق، فأين حقوق الرجل وسط هذا الخضم الهائل من المطالبات بحقوق المرأة؟ (ينظر إليهن مبتسمًا): قبل أن أستمع منكن إلى إجابة، دعوني أسمع رأي رئيس جمعية "سي السيد" الكاتب والمفكر ماجد حسّاني، الذي لديه الكثير في هذا الشأن، والذي يمكن أن يضيء نقاطا عديدة في الحوار.

الضيفة 1 (معترضة): السؤال موجه إلينا، فلماذا تبدأ بممثل الرجال؟

الضيفة 3 (بتؤدة): تطرح سؤالا عن حقوق الرجل وكأن المرأة نالت كل حقوقها؟

الضيفة 2 (بثورية): إن ما فعلته الآن دال على نيل الرجل حقوقه مسبقًا في كل شيء، وأعلن تحفظي على إدارتك للحوار، فالرجل أولا في كل شيء، حتى في السؤال الموجه إلينا نحن النساء. (تردف) عجبًا لمجتمع ذكوري في وعيه ولا وعيه.

المذيع (بتمرس مهني): لكُنّ بالطبع مطلق الحرية في الاعتراض، ولكن أنا أوضحت في كلامي أن كلام ماجد حساني سيضيء ويضيف، وسيكون كلامه إطارًا يمكن النقاش حوله، وحول النقاط المثارة فيه. دعونا نسمع ما يقوله المفكر ماجد حساني ثم نواصل حوارنا الذي بدأ مشتعلا وازداد اشتعالا معكنّ. **(يصمت ثانية لينصت في السماعة الخاصة به ثم يقول)** نأخذ فاصلا قصيرًا ثم نعود إلى نقاشنا الثري. **(متوجهًا إلى المشاهدين)** ولمشاهدي قناتنا أقول لكم: كونوا معنا، فالحوار لكم، وبكم، ومن أجلكم.

(تظهر إعلانات عديدة سريعة لمدة دقيقة، ثم يعود البرنامج ثانية)

المذيع: عدنا إليكنّ وإليكم من جديد، وأنا هنا أستخدم التمايز في الخطاب، بضمائر النسوة لمعشر النساء، والميم الذكورية لمعشر الرجال، ولنستمع إلى صوت حقوق الرجال المهضومة في حلقتنا الليلة، بل في سماء حياتنا الفكرية المعاصرة.. الكاتب ماجد حساني. **(ينظر إليه ويضحك)** رفقًا بالقوارير يا سيد "حساني".

الضيفة 4 (بعصبية): لا يمكن نعتنا بالقوارير، بل نحن مغاوير.

ماجد حساني (بثقة وهو يلوي شدقيه متفاصحًا): بل أنتن القوارير، وأنا أؤيد الأستاذ تامر في هذا النعت، فالمرأة في حاجة دائمة إلى حماية الرجل، حتى لو كانت بطلة في الكاراتيه فهي أيضًا تحتاج للرجل ليذود عنها، وتلتجئ إليه، فالقوة ليست بدنية فقط، وإنما هي قوة معنوية. **(يتوجه للضيفة 4)** أما مطالبتك بنعت النساء بالمغاوير فأقول لكِ إن المغاوير تطلق على الرجال وحدهم، بل على فئة معينة من الرجال وهي فئة الجنود والعسكريين، وفي الجيوش العربية المعاصرة، تعني كلمة المغاوير: قوات النخبة من المشاة أو القوات الخاصة أو الصاعقة.

فيكون سؤالي لك بعد هذه المعلومات هل تقبلين سيدتي أن تكوني مغوارًا في جنود الصاعقة؟

(ضحك من الجمهور من الحضور الرجالي)

ماجد: أمر آخر لابد أن تتحسبنّ له في هذا البرنامج، فنحن الضيوف خمسة، أربع نساء، ورجل واحد هو أنا، وبالطبع فإن الأستاذ تامر غير محسوب في معسكري لأنه محايد وفق تقاليد المهنة الإعلامية.

الضيفة 2: لا، إنه رجل مثلك، وانحيازاته معلنة منذ البداية، فكيف يطرح سؤالا يخص النساء ويعطي الكلمة أولا للرجل؟

المذيع (يهم بالكلام): أنا يا ضيفتي العزيزة أردت أن.....

ماجد (يشير إليه أن يسكت): دعني أرد عليها يا أستاذ تامر. إذا تأملت الضيفة العزيزة- مناصِرة حقوق المرأة- مضمون السؤال المطروح ستجد أنه يخص عالم الرجال.. فهو عن حقوق الرجل. أين هي؟ وبالتالي لابد أن يكون الجواب الأساسي نابعًا من الرجل، وأنا ممثل الرجال الوحيد هنا، فبالتالي لم يكن أمام الأستاذ تامر إلا أن يتوجه بالسؤال نحوي. **(يضيف بحنكة)** وإذا نظرتِ إلى تشكيل الضيوف في البرنامج، فإن الأغلبية هنا للمرأة، أربعة ضد واحد، ومع ذلك فأنا قادر على الانتصار للرجل الشرقي.

الضيفة 3 (ثائرة): لقد انتبهتُ لسؤاله، وكانت البداية موجهة لمعشر النسوة الحاضرات، وليس لمعشر الرجال. راجع ما قال **(هازئة)** يا رئيس جمعية سي السيد الموقرة، وأنا أستغرب من جمعيتك ومما تدعو إليه.

المذيع (مبتهجًا بدفاع ماجد عنه): لن نخوض في هذه النقطة، دعونا في السؤال بوصفه محورًا للنقاش الآن. **(ينظر لماجد).**

ماجد: بالنسبة لسؤالك يا أستاذ تامر، أين حقوق الرجل؟ والإجابة

هي: إن الرجل صار بلا حقوق، بل صار يركض من أجل حقوق حياته الأساسية، وكي تتخيلوا مأساة الرجل سأعطيكم مثالا متكررًا الآن في مجتمعاتنا. أسرة السيد "فيصل"، تتكون من الزوج، والزوجة، وطفلين. الزوج والزوجة يعملان، كلاهما له دخل مادي مستقل، دبت المشاكل بينهما، حتى وصلت إلى الانفصال، وتم الطلاق بين الزوجين، سواء كان طلاقا أم خلعًا. تعالوا معي أعطيكم نتيجة هذا الطلاق: الزوج عليه أن يقدم منزلا للزوجة المطلقة وطفليها، ونفقة شهرية، وفي بعض الدول العربية عليه أن يقدم سائقًا وخادمة والمزيد من النفقات. أما الزوجة فلا أحد يسأل عن راتبها أو دخلها، وإنما القضية كلها على الزوج. ماذا يتبقى للرجل إذن؟ الفتات من راتبه، بينما مطلقته تتمتع بكافة المزايا والاستقلال المادي. أريد ردًّا: أليس الرجل مظلومًا.. وبلا حقوق؟

(تصفيق حاد من جمهور الرجال، وصيحات إعجاب وإشادة، وامتعاض على وجوه الضيفات وأيضًا الحضور النسائي من الجمهور)

المذيع تامر: رؤيتك واضحة يا أستاذ ماجد، والمثال أوضح الفكرة. يظل السؤال: أين حقوق الرجل بعدما نالت المرأة كافة حقوقها وزيادة؟

ماجد: هناك إضافة أخرى إذا سمحت لي أستاذ تامر عن المرأة التي احتفظت براتبها، ناهيك عن تعاطف المجتمع معها، أمام الرجل الظالم الذي أتعبها ونكّد عليها في عيشتها، دون النظر إلى جوهر المشكلة، فقد تكون الأزمة بسبب المرأة وليس الرجل، ولكن المجتمع الآن بات يتعامل مع كل أزمة زوجية باعتبار أن الرجل هو السبب، والمرأة مقهورة مسلوبة الإرادة ضحية له.

المذيع: أشكرك أستاذ حساني.. لقد سلطت الضوء بما فيه الكفاية. **(ينظر لضيفاته)** الآن أعطي لكنّ الكلمة، وحق الرد مكفول، ولكن مضطر أن

أخرج بفاصل إعلاني. **(للمشاهدين)** ابقوا معنا.. فالحوار متأجج يحتاج لإنصاتكم.

(تظهر إعلانات عديدة سريعة لمدة دقيقة، ثم يعود البرنامج ثانية)

المذيع: عدنا إليكنّ وإليكم. الآن، نطلب الرد من ضيفاتي الكريمات.

(ترتفع عدة أيدٍ منهن مطالبة بالرد، وتسري همهمات بينهن تصل لمسامع الجمهور، فيما يبتسم ماجد سعيدًا)

الضيفة 1: سأقوم أنا بالرد أولا، فأنا الأولى في يمين الجلسة.

الضيفة 2: أي يمين تريدين؟ يمين المشاهد أم المذيع، أم يمين الجالسين؟

الضيفة 3: لم نتفق على أن الرد يكون حسب ترتيب الجلوس.

الضيفة 4: أستطيع الرد بقوة على كل التخرصات التي قالها الأستاذ ماجد، فقط دعوني أكون المتحدثة الأولى.

المذيع (رافعًا يده): دعوني أنظم النقاش، سنبدأ بترتيب الجلسة، وهذا هو المتبع في جميع البرامج، ولم آت بجديد في ذلك، وظننتكن تعرفن هذا. وأريد التنبيه على نقطة مهمة، فإن كل متحدثة لها زمن محدد للرد وهو دقيقتان، حتى نفسح المجال للجميع، فلا تغضبن إذا قاطعتكن. **(ينظر ليمينه)** تفضلي يا دكتورة.

الضيفة 1: (بفخر) أشكرك أستاذ ماجد، إن ردي على الأستاذ ماجد هو أن المرأة مقهورة طوال العصور والحقب التاريخية ولم تنل حقوقها إلا في العصر الحديث، بينما كان الرجل مسيطرًا على كل شيء.

ماجد: أتردين على سؤال الأستاذ تامر أم على كلامي؟ أرجو التحديد.

الضيفة 1: بل أرد عليك، أما عن حقوق الرجل فالرجل نال حقوقه منذ ولادته أما المرأة فهي مسكينة عاشت وماتت بلا حقوق.

المذيع: شكرا لكِ، المرأة عاشت بلا حقوق، والرجل له كل الحقوق.

(ينظر لماجد وللجمهور) هل هذه المقولة صحيحة؟

ماجد: بالطبع لا، إنها مقولة لا أساس لها، فالمرأة هي أمنا وأختنا وجدتنا وعمتنا وابنتنا، أي نصف المجتمع، بل هي كل المجتمع لأنها تربي النصف الآخر وهو الذكور، فكيف نقول إنها بلا حقوق كأنها عبدة، إننا نحتقر بذلك أمهاتنا.

الضيفة 2: غير معقول يا أستاذ ماجد، تتكلم كما تشاء، أرجو منك يا أستاذ تامر تنظيم الحوار، فالأستاذ ماجد يتحدث بلا ضابط.

المذيع: الهدف من الحوار الوصول إلى الحقيقة، وهناك آراء لابد من مناقشتها، والأستاذ ماجد هو الممثل الذكوري الوحيد هنا.

الضيفة 2: وماذا عنك؟ ألست من نفس الفئة؟

المذيع: أذكركن بحيادي التام، ولا يطعن أحد في مهنيتي.

الضيفة 2: سأرد أنا، وهذا دوري، نعم لا حقوق للرجل، يكفيه ما أخذ ونال من حقوق في العصور الماضية، لنترك القيادة للمرأة، تربي وتقود وتعلم، فهي جماع الجمال والرقة والبهجة والعلم والعاطفة والحنان.

المذيع: لا حقوق للرجل! كيف ذلك؟

الضيفة 2: نعم، لا حقوق له، إنه ظالم متعدٍّ متجبر على المرأة المسكينة.

ماجد: لا يمكنني السكوت، اسمحوا لي.

المذيع: ما رأي الجمهور أن نسمح للسيد حساني بالرد.

صيحات جمهور الرجال: أعطوه حرية الرد، الرجل له حقوق.

المذيع (ينظر إلى ما وراء الكاميرات): الغريب في الأمر أن العاملين في الاستديو يطالبونني أن أسمح لماجد بالرد.

ماجد: وردي موجز: لا تنازل عن حقوق الرجل، وهذا لا يعني غمط المرأة حقوقها.

الضيفة 2: وما حقوق الرجل؟ أتريد أن يكون متحكمًا في مصير المرأة؟
ماجد (بقوة): نريده أن يعود قائدًا للأسرة، مربيًا للأطفال، لا أن يكون تابعًا للمرأة، خائفًا من سطوتها، مهددًا بالخلع والطرد من الأسرة.
المذيع: حسنًا، كل هذا جميل.. ما رأي ضيفتنا الثانية؟
الضيفة 2: نعم للرجل حقوق، لا ننفي ذلك، ولكن عليه الانتباه إلى حقوق المرأة، وأختلف مع الضيفة الأولى في نفيها لحقوق الرجل.. الرجل هو الرجل.
المذيع: إذن أين المشكلة؟ ما دامت هناك حقوق للرجل؟
الضيفة2: المشكلة في أن الرجل يتخيل أن حقوقه هي السيطرة الكاملة على المرأة والتحكم في دخلها وحياتها وأولادها.
المذيع: ما رأي الأستاذ ماجد؟
ماجد: (ناظرًا للضيفة 2) جميل أن تُقرِّي أن للرجل حقوقًا، ولكن الواقع يشير إلى فقدان الرجل لهذه الحقوق. الرجل صار خائفًا من محكمة الأسرة، مهددًا في أية لحظة بالطلاق من زوجته، وخصم ثلثي دخله الشهري في نفقات الطلاق.
الضيفة 2: ولكنك تطالب بعودة سي السيد، فما معنى ذلك؟
ماجد: معناه واضح، نريد عودة هيبة الرجل في الأسرة، الرجل صار بلا هيبة ولا سيطرة على البنات قبل الأولاد.
المذيع: ما رأي ضيفتنا الثالثة.. هل ترين أن سي السيد مفتقد في حياتنا؟
الضيفة 3 (بدهاء): لم أفهم جيدًا من الأستاذ ماجد مقصوده عن سي السيد.. أرجو التوضيح، فأنا أتخيل أن سي السيد تعني استبداد الزوج في منزله، ولنا في رواية قصر الشوق لنجيب محفوظ مثال واضح على هذه الشخصية، وما زوجته "أمينة" إلا مثال للمرأة المستكينة الخاضعة

لرغبات الزوج المتقلب، والساكتة عن علاقاته مع نساء أخريات. هل هذا ما تريده يا سي ماجد.. أقصد يا سي السيد؟

(تصفيق حاد من النساء في الاستوديو، مما يدفع المذيع إلى الاستزادة من كلامها)

المذيع: كلامك قوي، وحجتك حاضرة، ماذا لديك أيضًا ضيفتنا العزيزة؟

الضيفة 3: أنا أقول إن سؤالك يا أستاذ تامر وحجج ضيفك الذكوري عن حقوق الرجل المطلوبة لا وجه لها.

المذيع: لماذا؟

الضيفة 3: من قال إن المرأة أخذت حقوقًا من الرجل؟ ردوا عليّ، هي أخذت حقوقها المستلبة، وهذا لا يعني أنها اقتطعت من حقوق الرجل أبدًا، بمعنى أنني إذا أكلت نصيبي من الطعام، فلا يعني أنني أخذت من نصيب أخي، أو زوجي أو ابني أو والدي. هكذا تكون الحسبة وما عداها متاجرة.

(تصفيق حاد من النساء في الاستوديو)

المذيع: رائع.. رد مقنع بل رد مفحم **(ينظر لماجد مبتسمًا)** ما رأيك أستاذ ماجد؟ **(يهم ماجد بالكلام، ولكن المذيع يستوقفه)**

المذيع: فاصل إعلاني لابد منه، ثم نستمع إلى الأستاذ ماجد وإلى رده على ضيفتنا الكريمة. **(ينظر للمشاهدين)** أعلم أنكم ستظلون معنا، لأنكم مستمتعون بالحوار، ومتشوقون للرد، وأتوقع أن يكون الرد أكثر من مفاجأة كما تخبرني عينا ماجد.

(تظهر إعلانات عديدة سريعة لمدة دقيقة، ثم يعود البرنامج ثانية)

المذيع (بحماسة): عدنا، والعود أحمد، والكلام لممثل الرجل الشرقي.

ماجد: عظيم هذا الرد، المرأة لم تأخذ حقوقًا من الرجل، وإنما أخذت

حقوقها المهدرة أساسًا، وأنا أتفق معكِ في هذا الرأي **(ينظر للجمهور وللمذيع بأريحية)** من قال إنني ضد حقوق المرأة، أنا ضد استلاب الرجل من دعاة حقوق المرأة، وأعطيكِ مثالا على مثالك: الزوجة أكلت نصيبها من الطعام بالفعل، ولكنها وضعت قانونًا ألا يقرب أحد من اللحم إلا بموافقتها، ووفق الموعد الذي تحدده لتناول الطعام، ثم عاقبت كل من علم وجهل بهذا القرار. ومن يعارض عليه تحمّل النتيجة وهي الحرمان من الطعام تمامًا، بل والمشاركة في دفع ثمنه غصبًا عنه.

وكي أوضح أكثر: المرأة أعلنت عن حقوقها وأخذتها، ولكنها استبدت بهذه الحقوق، فإذا تمردت على الرجل الذي هو أثث المنزل، واشترى الذهب وأقام العرس، وتكفل بالإنفاق؛ فهي إذا اختلفت مع الرجل اتهمته بالاستبداد، ونسيت كل ما قام به، فإذا أرادا الانفصال أو الطلاق فالرجل ملزم بالدفع والإنفاق ومحروم من الحياة الزوجية المستقرة. هل تتخيلون هذا؟ يدفع وينفق على أسرة وزوجة لا يعيش معها، وفي نفس الوقت لا يستطيع نتيجة التعسف في التطبيق أن يؤسس أسرة أخرى، لأن معظم دخله ذهب في الطلاق.

(تصفيق شديد من الرجال والشباب)

الضيفة 3 (بحنكة): ألا تلاحظ أنك تجعل الرجل ملاكا، والمرأة شيطانة؟ ونسيت الرجل الخائن، والبخيل، والمعتدي بالضرب والإهانة، والمهمل لبيته؟ يا سيدي الفاضل أنت تنظر من زاوية واحدة وليست كل الزوايا، فقط تريد أن تعيد الرجل الشرقي بسطوته وجبرته بكل ما نعرفه عن ذلك من تراث سلبي.

(تصفيق حاد من الجمهور النسوي)

ماجد: (يتجاهل سؤالها ويحكي) سأروي لكم قصة طريفة واقعية، وهي

ليست من بنات أفكاري، ولا ناتجة من خيالي الخصب، وإنما عرضت في برنامج تلفازي والبرنامج وثيقة في حد ذاته، والحلقة مسجلة. القصة هي: رجل لديه ثلاث بنات وزوجة، الرجل يعمل مهندسًا، وينفق على زوجته وأسرته، وهو رجل طيب ومسالم، ولكن زوجته متجبرة، عصته، وامتنعت عنه، بل لم تعد تطبخ له، ولا تغسل له، وهو يتكفل بشؤونه الخاصة، وأمرت بناته الثلاث ألا يطعنه وأن يفعلن مثلها. وهو ملزم بالنفقة عليهن. هيا فكروا وفكرن معي: ما الحل لهذا الزوج المسكين؟ ألا يكون الحل هو التعامل بعقلية الرجل الشرقي المتوارثة، وكبح جماح هذه الزوجة، وتأديب البنات؟ لمنع الأسرة من الانهيار وإعادة القيادة للزوج بدلا من قيادة المرأة التي هي خاضعة لمزاجها وتقلباتها.

الضيفة 4: هو رجل ضعيف الشخصية، وكان يمكنه أن يواجهها ويتخذ معها إجراءات عديدة، للحفاظ على كيان أسرته.

المذيع (وهو في غاية السعادة يسألها): وكيف يكون قوي الشخصية؟

الضيفة 4 (تتلجلج): بأن.. أن يمتنع مثلا عن الإنفاق عليهن أو ينفق بحدود، وأن يترك المنزل ويعاقبهن، ولا شك هناك طرق أخرى.

ماجد (منتصرًا): أنت بنفسك قلت: يعاقبهن، بالامتناع عن النفقة، وترك المنزل، دعوني أطرح عليكم الحل الذي اتخذه هذا الزوج.

المذيع: ما الحل الذي فعله الزوج؟

ماجد: لن تصدقوا، وأقسم بالله العظيم أن ما أقوله صدق، وها أنا أعلن اسم البرنامج، لقد عرض الزوج مشكلته في برنامج "حياتي" في شهر مايو في العام 1989، وكانت الضيفة داعية حقوق المرأة الشهيرة الأستاذة أمينة السعيد، وهي من هي في الدفاع عن المرأة وحقوقها، وقد قالت معلقة على هذه المشكلة، وعفوا لما سأقوله الآن، وإنما أنقل نص ما

قالت حرفيا: "يا رجل اختشي على عرضك، أدّب زوجتك، واضربها لأنها ممتنعة عنك، وعاقب بناتك على عصيانهن لك واضربهن، لأنك والدهن ومسؤول عن تربيتهن، والضرب وسيلة للتأديب عندما تفشل بقية الوسائل، وامتنع عن الإنفاق عليهن، ليعلمن قيمتك وأهمية وجودك، وفي كل هذا لا تترك المنزل، لأن بناتك وزوجتك هن عِرضك". **(يتوجه للجمهور)** لاحظوا ولاحظن ما قالت أمينة السعيد، إنها تطالبه بأن يتخذ سلوك الرجل الشرقي، سي السيد، عنوان جمعيتنا الحميدة، وهذا ما أعلنه وأقوله.

(صفير، وتصفيق، ووقوف من بعض الجمهور)

المذيع: هذه مفاجأة بالفعل، قصة واقعية، ولكني أطرح سؤالا: هل نفّذ الزوج ما أوصته به السيدة أمينة السعيد؟

ماجد: لن تصدقوا، لقد بحثت في أرشيف التليفزيون، وعلمت أن الرجل حضر بعدما شاهد الحلقة وناقش المذيعة الأستاذة فايزة واصف، وضيفتها أمينة السعيد، وقال إنه مؤمن بحقوق المرأة، ويرفض أن يتخذ وسائل تحقر من شأنها، فردّت عليه أمينة السعيد، جرّب ما وصيتك به، بدلا من خراب بيتك، وتمزيق أسرتك. وللمفارقة، فإن الرجل لم يقتنع أبدًا، ولكن لم تكن هناك سبل أخرى، لإنقاذ أسرته والحفاظ على كرامته المهدرة، فغيّر من شخصيته وقناعاته، وفعل المطلوب.

صوت من الجمهور: اشرح لنا بالتفصيل ماذا فعل.

ماجد (ضاحكا): لا داعي.. لا داعي.

الصوت مرة ثانية: أرجوك اشرح، وأعطهن على رؤوسهن.

(أصوات عديدة تطالبه بالشرح والتوضيح ومعها صوت المذيع أيضًا)

ماجد: حسنًا، لقد قتّر الزوج على أسرته في الإنفاق، وقال لهن: لن أنفق

على زوجة عاصية، وبنات عاقات، وسأعيش في منزلي، وعليكن الشكوى للقضاء إذا استطعتنّ. وعندما صرخت فيه الزوجة وتطاولت عليه، صفعها على وجهها، فاستكانت واستكانت بناته خوفًا منه، وهن يرين شخصًا آخر غير الزوج اللين والأب الطيب، وبمرور الأيام تلاشت الأموال من أيديهن، واضطررن إلى الرضوخ والطاعة، وراجعت البنات أنفسهن، وعرفن كم كن قاسيات على والدهن، فانضممن للأب واعتذرن له، أما الأم فواصلت عنادها وتركت منزل الزوجية وذهبت لأهلها، والغريب أن أهلها أعادوها ثانية، وعندما رفضت قالوا لها: زوجك على حق، وأنت متجبرة متسلطة. فعادت منكسرة الجناح. والنتيجة ظهرت سريعًا، وخلال شهر واحد: زوجة تقوم بواجباتها الزوجية كلها، وتحترم زوجها، بنات مهذبات يطعن والدهن، أب عاش الحياة الزوجية كاملة، وأنقذ رجولته.

(التصفيق يشتد، والصخب يرتفع، والكاميرا تركز على الضيفات الأربع وهن غير مصدقات لما يُحكى، ومن الواضح أن ماجد كان منتصرًا والجميع يؤيده)

يقول المذيع ضاحكا: مضطر لطلب فاصل قصير، فالحلقة ملتهبة وعلي أن أقوم بدور سي السيد، وأكبح جماح هذه الحماسة منقطعة النظير.

(جاء الفاصل مكررًا الإعلانات وامتد دقيقتين أو أكثر، ثم عاد البرنامج)

المذيع (مبتسمًا مع حزم في كلامه): أهلا بكم، لا تتخيل أيها المشاهد الكريم ما قمت به من أجل استعادة الهدوء في الاستديو، وأيضًا التعامل مع الطوفان الهائل من المكالمات التي وصلت البرنامج من أنصار التيارين المتعارضين، من أجل الرد بالمعارضة أو التأييد، ولكن دعوني أقول لكم نتيجة التصويت على موقع البرنامج على الإنترنت، أي المؤيد

لماجد والمعارض له، ستظهر على الشاشة أمامكم. كما ترون: النتيجة 90% مؤيدون لماجد، 10% معارضون له ومؤيدون للضيفات الكريمات.

(ماجد يرفع يده، ويطالب بالرد)

المذيع: ماذا عندك أستاذ ماجد، لقد قلت الكثير.

ماجد: إن هدفي هو الحق والحقيقة، ولكن هناك معلومة لم أذكرها للأمانة عن قصة الزوج المهندس وأسرته، وقد عرفتها من بحثي الدائب والعلمي والموثق في أضابير أرشيف التليفزيون، ولن تصدقوا ما أقول.

المذيع: قل لنا، واترك الحكم لنا أيضًا بالتصديق أو عدم التصديق.

ماجد: لقد أحبت الزوجة زوجها بقوة، وقالت له معترفة: عندما وجدتك ضعيفًا أمامي، أحسست أنك غير قادر على حمايتي، المرأة تريد الرجل الأقوى منها، وليس الضعيف الخانع. وقالت أيضًا: الرجل لديه القدرة على احتواء المرأة وتوجيهها

(تصفيق من جديد، وهتاف، ثم إظلام)

(يضاء المسرح ويبدو الاستديو ومقاعد الجمهور خاوية، ونشاهد ماجد، والمذيع تامر، وصلاح، والحوار دائر بينهم، وذلك بعد مرور أيام قليلة على بث الحلقة، ولا تزال أصداؤها تتردد في المجتمع الإعلامي)

تامر: حلقة سي السيد، كانت حلقة تاريخية بكل المقاييس.

ماجد (مجاملا): أشكرك يا تامر، كم كنت بارعًا، وأدرت الحلقة باقتدار.

تامر: بل أنت استطعت تسخينها ثم إشعالها، ثم قلبت الطاولة على الجميع، رغم أن أمامك أربع نسوة، ومن مناصرات حقوق المرأة.

ماجد (معجبًا بالإطراء): ألم أقل لك قبل الحلقة بأنني سأكون على غير ما تتوقع، وطلبت فقط إعطائي الفرصة، وسيكون الكلام مختلفًا، والموضوع جديدًا، والناس ستعيد التفكير، خصوصًا أنني أتيت بمعلومات موثقة.

تامر: صحيح.. رائع أنت.

ماجد: ماذا عن نسب المشاهدة؟

تامر: إحصاءاتنا تقول إنها كانت الحلقة الأبرز في متابعة المشاهدين في هذه الليلة، وكانت حديث الناس في البلد كلها. وهناك عشرات الآلاف من المشاهدات لمقاطعها على اليوتيوب، والناس تطرح الأسئلة، وتطالب بحلقات أخرى.

صلاح: والأغرب أن هناك هشتاج" انتشر حمل اسم "سي السيد"، والكل يمجّد في الشعار الجديد المرفوع: الرجل الشرقي قيم ترتقي.

ماجد: وماذا عن الأصداء على تويتر والفيس بوك وما شابه؟

صلاح: نار يا زعيم. أنت نجم صاعد في سماء الإعلام العربي، الكل يتحدث عن الكاريزما الجديدة التي تمتاز بها شخصيتك.

ماجد (مفتخرًا): ولا يزال في جرابي الكثير، ولا زلنا في بداية المشوار.

صلاح (مرددًا المثل الشعبي): "يا ما في الجراب يا حاوي". وأنت الحاوي الشاطر، وتخيل أن هناك بنات ونساء كثيرات جدًا على الفيس بوك والتويتر معجبات بدعوتك الجديدة لتحرير الرجل من سطوة المرأة، ويرون أن الحياة التقليدية أروع من الزواج الحديث والحب والغرام، وأن الزواج التقليدي وسيطرة الرجل هو الأنجح.

ماجد (مفتخرًا): أنا أحافظ على تراث عظيم من المفاهيم والقناعات والتقاليد، بدلا مما أصاب الأسرة من تفكك وانهيار نتيجة انسحاب الرجل من المشهد، وتسليمه الراية إلى الزوجة: تقود العيال، والأسرة، وتقوده هو شخصيًا.

ماجد (متوجهًا إلى تامر بالحديث): أنت أشدتَ كثيرًا بالحلقة في حواراتك مع الصحافة يا أستاذ تامر، أحب أن أتساءل عن حصتي

من الإعلانات؟ لقد خرجتَ بفواصل إعلانية كثيرة، وأعتقد أنني كنت نجم الحلقة بلا منازع، وحسب علمي فإن هناك إعلانات كثيرة على اليوتيوب وعلى موقع القناة نفسها، وكل المقاطع المعروضة هي لكلامي وحججي ومنطقي.

تامر (ينظر له ببرود، وهو يطيل النظر إليه): راجع إدارة القناة، أنا دوري انتهى مع انتهاء الحلقة، ولست مسؤولا عن الجوانب المالية، أنا مذيع فقط.

ماجد: (ملاحظا تغيره) ماذا بك، أرى تبدلا في وجهك، ونبرات صوتك؟

تامر: (يشيح بعينيه عنه، ويتكلم بنوع من الأنفة) لأنك تخيلت نفسك أن النجاح كله يعود إلى شخصيتك العظيمة، ونسيت دوري في الحلقة، وأنني أعطيتك مساحة أكبر من اللازم، على حساب الضيفات، وهو ما أثار تعجب إدارة القناة والمخرج، وأخذت تعليقات سلبية في الصحافة ومواقع التواصل الاجتماعي، ولكنني خرجت منها بأن الهدف هو تقديم الفكر الجديد، وليس التوزيع الزمني فقط؟

ماجد وصلاح (في صوت واحد): طبعًا.. طبعًا.

تامر (مواصلا): ولا تنس ما قلته لك قبل الحلقة من نصائح ووصايا؛ كيف تتكلم، ومتى تشعل الحلقة. أرجوك لا تنس هذا، لقد أعطيتك خبرة كبيرة في زمن قصير، وكان كلامي محاضرة نظرية وعملية معًا.

ماجد (بتؤدة): أنا لم أنكر.. ولن أنسى نصائحك يا تامر بك.

تامر (مواصلا): أذكرك فقط أنني أحضرت لك شخصيات غير مجادلات، وهن فهمن المطلوب فسكتن، وأعطينك الفرصة كاملة. أرجو أن تضع ذلك في الحسبان، ودائمًا البداية هي الأساس، وأنت بدايتك مختلفة.

ماجد (مهدئًا): يا أستاذ تامر المبجل، يكفيني شرفًا أن هذه الحلقة الأولى

لي في برامج التوك شو، وكان ظهوري كشخصية فكرية عامة على يديك. وهذه باكورة تعاوننا والقادم أشد، ونحن لا نستغني عن خدماتك، ولا خبراتك **(بعتاب خفي)** فلا داعي لتحميل الكلام أكثر مما يحتمل.

تامر: إذن أنت اعترفتَ بما قمتُ به معك، فعليك أن تدرك ذلك وأنت تتفاوض مع إدارة القناة، ليكن في علمك أن نصف قيمة إعلانات الحلقة من نصيبي، غير نصيب القناة، والبقية لك.

ماجد: نصف الأرباح من نصيبك! وما الباقي لي إذن؟

تامر: إن برنامجنا "بيزنس"، وهكذا تكون المرابحة في التجارة: الربح حسب الجهد والشهرة وغير ذلك. كي نتعاون مستقبلا بشكل واضح وثابت. أما الباقي لك فلا تسأل عنه، وارض بما يقدم لك.. وإن قلّ، وتخيّل نفسك محرومًا من الظهور، أو بالأحرى تخيل نفسك الآن قبل الحلقة بأيام أو حتى بساعات، من كان يعرفك؟ كنت معروفًا في سوق الصحافة فقط، وأعني صحافة الضرب تحت الحزام.

صلاح: ماذا تعني صحافة تحت الحزام؟

تامر (ناظرًا له بعتب): هذا ما تسمونه أنتم الصحافة الصفراء، وأنا أسميها تحت الحزام، لأنها لا تضرب في الوجه أو الصدر على نحو شريف، بل تضرب أسفل الحزام فقط، وأنت تعي ما هو أسفل الحزام.

ماجد: (راجعًا لرأس الموضوع، متظاهرًا بالجهل) مرابحة في التجارة إلى درجة نصف الربح! غريبة أن يكون عملنا تجارة، وليس إعلامًا.

تامر (بثقة زائدة): بالفعل الإعلام صناعة وتجارة: التصوير وعمليات الإنتاج كلها صناعة، والإعلانات ونسب المشاهدة مع الجمهور هي التجارة. وكل هذا ضمن التخطيط لسوق الكلام، وزيادة جرعات التفكير والحوار على الألسنة.

ماجد: سوق الكلام مرة ثانية. المصطلح كثير التكرار.

صلاح: نفس ما قالته مها سليم.

تامر: الفكر الإعلامي واحد تقريبًا سواء معي أو مع مها سليم، وهو ما تتنافس عليه الفضائيات والصحف والمواقع الإلكترونية. ولعلمكما فإن سوق الكلام له شروط ومتطلبات، والقسمة لا تخص التاجر وحده، بل تشمل الوسطاء، والمعدين، ومقدمي البرامج وغيرهم، والنصيب الأكبر للمذيع والقناة.

ماجد: وماذا عن الشخصيات الإعلامية والعامة؟

تامر (مواصلا وموضحًا): الشخصيات المستضافة الشهيرة عادة تأخذ قيمة ثابتة، وأحيانًا لها نصيب في الإعلانات، أقول أحيانًا وليس دائمًا.

صلاح: ولكنك أستاذ تامر نسيتَ ضيفاتك اللاتي شاركن في الحلقة؟

تامر (ضاحكا): ضيفاتي! ضيفاتي لا يأخذن شيئًا، يكفيهن الظهور العلني في التليفزيون، وهن العجائز المتصابيات، اللائي يجلسن في جمعياتهن النسائية يدبرن المكائد لبعضهن، ويحقدن على الوجوه الجديدة اللائي تنافسهن. لذا كلهن يشكرنني على الاستضافة، وكما يقلن لي عادة: يكفينا أننا نمنع الشابات المتاجرات بحقوق المرأة، والمَمولات من المنظمات الأوروبية والأمريكية، هؤلاء اللائي يحضرن مؤتمرات السكان في الأمم المتحدة، ويتحدثن عن حقوق الإجهاض والمثلية.

ماجد: لم أتوقع أن هناك حربًا بين داعيات حقوق المرأة.

تامر (ضاحكا): إنها حرب ضروس. أحكي لك موقفًا: استضفتُ مرة داعية شابة من أنصار الحقوق النسوية الجديدة وهي الدكتورة "منى خالد" وهي خريجة أمريكا، وكانت جميلة وأنيقة.

ماجد: طبعًا أعرفها، وأجريت حوارات معها.

صلاح: هي وجه صاعد في الإعلام.
تامر (يمط شفتيه): ليست وجهًا صاعدًا، هي نموذج للشخصية العامة، استطاعت تأسيس موقع إعلامي لها، ستتعيش عليه لسنوات قادمة.
(يواصل الحكي) المهم في هذه الحلقة، استطاعت منى خالد أن تلفت الأنظار إليها، وانهالت المكالمات الهاتفية على البرنامج. وعليكما أن تتعجبا، فإن غالبية الاتصالات كانت من عجائز حقوق المرأة، هاجموها بضراوة. وإحدى العجائز قالت لها على الهواء مباشرة: المكان الذي تجلسين فيه هو مكاني وليس مكانك يا أمورتي الحلوة، فلا تتعجلي الشهرة قبل أوانك، حتى لا تكافئي بحرمانك.
صلاح: ما هذا.. مثقفات هؤلاء أم عجائز شمطاوات؟
تامر: الأغرب في هذه الحلقة أن الضيفات العزيزات تناسين موضوع الحلقة، وكان عن الإجهاض الآمن الذي تم الترويج له في مؤتمر الأمم المتحدة عن السكان، وانشغلن بالهجوم على بعضهن، ولكن منى خالد كانت بارعة، فقد استطاعت أن تهزأ بالجيل القديم الذي يردد كلام قاسم أمين وهدى شعراوي وصفية زغلول، وروّجت لفكر جديد، وقالت في الحلقة لا فائدة منكن، أنتن عجائز في السن وعجائز في الفكر، وأخبرتني منى بعد الحلقة، أنها أخذت دورات تدريبية في أوروبا وأمريكا حول فن الظهور الإعلامي، ومحاجاة المعارضين لها. **(ينظر إلى ماجد وصلاح)** وهذه بعض أزمات الشخصيات العامة، والمثقفات والمثقفين المتكلسين، وهؤلاء محنطون يبرعون فقط في المكائد.
صلاح: ولماذا لم تحضر منى خالد داعية حقوق المرأة الجديدة مع الأستاذ ماجد، كانت قد أخذت نصيبها من هجومه؟
تامر (مستنكرًا): أنا أحضرها مع ماجد؟! لا يمكن، إنها خبرة الآن،

وصارت مطلوبة في الفضائيات كلها.. الأجنبية قبل العربية. (**يردف بخبث**) فإذا أحضرتها ثق تمامًا يا ماجد باشا أنها كانت ستأكلك، بل تقضي على مستقبلك الإعلامي كله، ولن تقوم لك قائمة مرة ثانية فإذا حضرتَ يا ماجد ومعك خمسة مؤيدين لك، وهي بمفردها، فأنا واثق من أنها قادرة عليكم.

صلاح: تهزأ بالأستاذ ماجد كسباني الإعلامي الموهوب، وصاحب الحجة.

تامر: أنا كلامي واضح، إذا حضرت منى خالد فلا تسأل يا عم ماجد عن أرباح ولا يحزنون، واحذر يا صديقي أن تظهر معها في أي برنامج، فإذا اضطرتك الظروف للظهور معها، فليس أمامك إلا التطبيل لها.

صلاح: لهذه الدرجة؟

ماجد: أنا أذكر أن جميع حواراتي معها كانت بالتليفون أو بالإيميل، ولم أتشرف بمقابلتها، ولا معرفة طبيعة شخصيتها.

تامر: يا عزيزي أنت وهو، لا تتعجلا الشهرة، فأنا أخبر منكما، وليتك يا ماجد تشاهد حلقاتها على اليوتيوب لتعرف مهاراتها في الحوار والنقاش.

ماجد: (ناظرًا لصلاح) هذه إضافة مهمة في عملنا، نحن سنشكل جبهة جديدة من أنصار الرجل الشرقي، كلها تقاتل صفًّا واحدًا ضد أحلاف حقوق المرأة.

صلاح: ونعم الفكرة يا أيها الملهم، ويكون شعارها: جمعية الرجل الشرقي في مواجهة جمعيات نون النسوة ذات الأفكار الغربية.

تامر (ساخرًا): لا تتعجلوا، ستأتي عليكم سنوات ستجدون فيها من ينافسكم من الشباب، ويقول مثل قولكم وأكثر. إنها سنة الحياة والإعلام.

ماجد: مفهوم، وعلي أن أفكر وأجدد نفسي حتى لا أصدأ في مكاني. **(ينظر لتامر بامتنان)** كم أنت عظيم يا تامر، وحكيم في رأيك. سؤالي

لك أيها الخبير، كيف سيكون مستقبلي في الإعلام؟
تامر (متفكرًا): أنت لازلت في البداية، ولا يزال الناس مشتاقين لك، فاستثمر الفرصة ولا تضيعها، وهو ما نسميه "سوق الكلام المتعطش".
ماجد: نفس فكر التاجر.
تامر: الأفكار الجديدة مثل السلع الجديدة، يشتاق الناس لها، ويرغبون فيها، ومن هنا يكثر الطلب عليها، حتى يصلوا إلى التشبع منها، ليبحثوا عن أفكار جديدة أخرى، وهكذا. الشخصية الذكية هي من تبحث عن عباءة جديدة تتدثر بها، وتروج لها، وتجذب الناس إليها، كي لا يطويها النسيان.
ماجد: تقصد أن فكرتي لن تستمر طويلا؟
تامر (بهدوء): طبعًا، شأنها شأن صيحات الموضة التي تنتجها المصانع وخطوط الأزياء، يتعلق الناس بها فترة، ومن ثم يزهقون منها، فتسارع المصانع نفسها لتقديم الجديد لهم، لتظل هي الرابح الأكبر، وأيضًا هي المشكِّل لأذواقهم.
صلاح: (معترضًا) ولكن فكرة الأستاذ ماجد حية، ولا يمكن أن ينساها الناس، لأنها تمس حياتهم العائلية، وتعالج مشكلات اجتماعية كثيرة.
ماجد: (لصلاح) دعك من هذا يا صلاح، ينبغي أن أفكر كما يفكر تامر بك. وإلا جاء يوم عليّ أقبل فيه الظهور بدون مقابل، وأسكت مجاملةً، وأتكلم كما يُطلَب مني، وأكون مثل عجائز حقوق المرأة.

الفصل الثالث

(نفس ديكور الفصل الأول، مقر شركة الرجل الشرقي، يجلس ماجد وصلاح على المقاعد الوثيرة، وقد تحرر ماجد من رابطة العنق، وتبدو صور عديدة معلقة على الحائط، نرى فيها ماجد وهو يحاضر أو يكتب أو يظهر على شاشات التلفاز، كما توجد صور مكبرة معلقة لحوارات صحفية معه، وصور في مجلات عديدة، وكذلك يظهر ساعده الأيمن صلاح في بعض الصور، مما يوحي بمرور مدة على تأسيس الجمعية)

ماجد (يتنهد): لقد بذلنا جهودًا كبيرة خلال الفترة الماضية، وقمنا بأنشطة عديدة، لقد أصبحتُ وجها مألوفًا في مدينة الإنتاج الإعلامي حتى الحراس على البوابات باتوا يعرفونني، بجانب مصوري ومعدي البرامج. **(يصرخ)** لقد صرت شخصية عامة يا صلاح.. وتحققت أحلامي.

صلاح (كعادته في المديح): طبعًا، أنت شخصية متميزة يا ماجد بك، وأحب أن أضيف لك أن الناس في الشوارع يشيرون عليك، لقد أصبحت نجمًا إعلاميًّا في أشهر معدودة، وبات اسمك يجذب المشاهدين، وأكثر ما يمتعهم الحكايات الواقعية التي ترويها عن مآسي الرجال في مجتمعنا، وهذا ما يغيظ النساء، فهي قصص حقيقية وليست من تأليفك الشخصي كما يقال، بجانب فصاحتك وتمكنك اللغوي وقدرتك على إفحام الخصم.

ماجد: (يلوي شفتيه وهو ينظر لصلاح) أشكرك، ولكن تضايقني تعليقات الناس من النساء والفتيات، حتى البنات الصغيرات.

صلاح (ضاحكا): هذا متوقع، لقد قهرتهن، لا ننس المناظرة الشهيرة بجمعية المرأة الجديدة بوسط البلد، كنت وحدك أمامهن وهن متحدات ضدك في القاعة وعلى المنصة، ولكن هيهات مواجهة عملاق المناظرات.

ماجد: كانت ليلة مختلفة، وقد احتشدتُ فيها بكل ما أعرف، واشترطت عليهن ألا يقاطعنني عندما أتحدث، واستعنت بالقصائد الشعرية الذكورية في كلامي.

صلاح: وأنا كنت في نهاية القاعة، ومعي رجالنا الذين شكلوا "كورال" رائعًا من الهتاف والتصفيق، طغى على صراخ الحريم الحاضرات.

ماجد: أفضل ما فيك يا صلاح قدرتك على حشد الأتباع، ولا تعلم عاقبة ما فعلت فيّ بعد هذا اليوم.. آه منك يا صلاح ومن نباهتك العجيبة.

صلاح (غير واعٍ لما يقال): أنا في خدمتك دائمًا، أنا ورجال حارتنا البواسل.

ماجد (بقرف): فعلا كانت فكرة حشد الرجال فكرة جيدة، ولكن دفعت ثمنها غاليًا، فقد اتهمتني الصحافة بأنني أؤجر الأتباع وبلطجية الحواري للهتاف، على نحو ما يفعل مرشحو الأحزاب في الانتخابات، وجعلتني يا صلاح أضحوكة بغبائك.

صلاح (بغضب): لماذا الغلط؟ أنا اقترحت عليك وأنت وافقت. ولا تنس أن رجال حارتنا حمونا من هجمات النسوة في نفس هذه الليلة المشؤومة، خصوصا أنهن خلعن أحذيتهن، لولا العتاولة الذين معنا، كانت وفاتنا بنعال النساء، وسندخل التاريخ أنا وأنت بعد شجرة الدر، فيقال إنها ماتت ضربًا بالقباقيب، ونحن سيقال عنا متُنا بنعال النساء، ولا شك أن ميتة شجرة الدر أهون من موتتنا.

ماجد (متجاهلا دفاع صلاح وحججه): وأنا لا أنكر، فعلا وافقت، وهم أنقذونا مرات عديدة، ولكن الصحافة الصفراء- أو على رأي "تامر" صحافة تحت الحزام- قالت عني إنني أستعين بفتوات بولاق لتهديد النساء. كان لابد أن تشير علي بغير ذلك، ولكن صدق المثل "عدو ذكي خير من صديق غبي".

صلاح (غاضبًا): أنا أزعل منك لهذا الأسلوب.
ماجد (بزهق): لم يحدث من قبل أنك زعلت، أنا وأنت توأمان لا نفترق، وأظن أننا سنموت في يوم واحد، فلا مفر من صحبتك حيًّا كنت أو ميتًا.
صلاح: أهذا جزاء ولائي وإخلاصي لك؟
ماجد (يطيب خاطره): لا تزعل يا أبا الصلح، أنا أفضفض معك وتعودت منك البال الطويل، ويكفي أنك في منأى عن سخرية الصحافة والناس، لأنك تبرع أن تكون في الظل، مثلما أبرع أنا أن أكون في الضوء.
صلاح: كل واحد يأخذ نصيبه من الدنيا.. ومن الضوء والظل.
ماجد (يتنهد): فعلا صدقتْ مها سليم عندما قالت لن يتركوك في حالك، سيطاردونك بماضيك أو يلاحقونك بأخطائك، وقد كان.
صلاح: صحيح، هي قالت هذا.
(رنين الهاتف النقال في يد ماجد، ينظر)
ماجد: يبدو أن مها سليم.. تأتي عندما يُذكَر اسمها، ها هي تتصل.
(يرد عليها، وهو يبتسم بانشراح) أهلا وسهلا بسيدة الصحافة الأولى. طبعًا أنت السيدة الأولى في عالم الصحافة، وهذا ما نقوله نحن معشر الصحفيين، وكذلك الإعلاميون كلهم، ولا ننسى ما قمتِ به معنا.. عمومًا في انتظارك إذا كنت قريبة منا، فنحن في الجمعية. أهلا بك في أي وقت، ونترقب وصولك على أحر من الجمر.
صلاح: أهي في الطريق؟
ماجد: طبعًا، لا تحرّك سيارتها إلا إذا تأكدت من وجودنا توفيرًا للوقت والجهد والبنزين.. على حد قولها. سيدة عملية بالفعل.
صلاح: فعلا، لقد أبلت بلاء حسنا معنا خلال الشهور الماضية، وإذا كان تامر يعايرنا بأنه أول من قدمك في برنامج توك شو، فإن مها قادتنا إلى

دروب الصحافة كلها. **(وهو يعدد على أصابع كفه)** الورقية، والإلكترونية، اليومية والأسبوعية والشهرية، سواء في القاهرة أو الخليج، أو الصحف العربية الصادرة في العواصم الغربية، فعلا جهود حثيثة، استدعت فريق عمل كبير، يعمل ليلا ونهارًا. **(وغمز له)**

ماجد: أفهم أنا ما تقصده، وأعترف بجهودك الرائعة معي.

صلاح: (ببراءة) أنا ما قصدت شيئًا والله، كل الحب لك في قلبي يا صديق عمري، ورفيق دربي، وأشياء أخرى.

ماجد (ضاحكا): والله أنا أفهمك أكثر من نفسك يا صلاح، تريد القول إن المقالات التي نُشرت باسمي في الصحف والمجلات، وهي متنوعة وغزيرة في معلوماتها كانت بالتعاون مع صحفيين صغار جاءوا عن طريقك.

صلاح: وماذا فيها يا رئيس الجمعية؟ ليست المرة الأولى.. ولا الأخيرة.

ماجد: ارحمني من تقليب المواجع يا صلاح.

صلاح: عيب هذا الكلام معي، أنت الذي استرجعت الذكريات الماضية، وتؤول كلامي على غير المعهود. وإذا كان هناك من يكتب لك فأنا أراجع وأمحّص كل ما يكتب، قبل أن تتفضل بالنظرة الأخيرة، ثم توقيع جنابك. **(يردف صلاح بتؤدة)** أنسيت أنني ديسك سابق في صحفك السابقة؟

ماجد: لم أنس يا صديقي، ولكنى كنت أخطط أن أقوم بكل شيء، بدون الاستعانة بصديق، حتى أضمن أن يكون أسلوبي واحدًا في كل المقالات.

صلاح: (يضرب بيده على صدره) وما دوري أنا يا ماجد بك؟ أنا المحرر النهائي، وأحفظ أسلوبك جيدًا، بل أنتقي الصحفيين الذين تعلموا في مدرستك السابقة، وكثيرون منهم الآن يكتبون لكبار الكتّاب، والشخصيات العامة. يعني هؤلاء كتبة محترفون، فأسلوبك وطريقة معالجتك واحدة في جميع ما ينشر باسمك.

(رنين جرس الباب، ثم تدخل مها، حيث كان الباب مفتوحًا)

ماجد وصلاح: أهلا وسهلا بسيدة الصحافة الأولى.

مها (تجلس وهي تنفخ من الحر، وتستجلب المزيد من هواء التكييف): أهلا بكما، ومبارك نجاحاتكما المتتالية، بل المعجزة.

صلاح: (مشيرًا إلى ماجد) هذا هو قائد النجاح، وما أنا إلا ساعده الأيمن.

مها: (مصدرة صفيرًا بشفتيها) فقط ساعده الأيمن، أم مدير أعماله وكتاباته العديدة التي ملأت السهل والجبل، والوادي والدلتا.

صلاح (ضاحكا): ما أروع أمثالك يا سيدة الصحافة الأولى.

مها (متعجبة): ما حكاية هذا اللقب؟ هل أنتما متفقان عليه؟

ماجد: هذا لقب يخصك وحدك، وأنا أطلقته وتقريبًا بدأ في الانتشار وسط الجماعة الصحفية.. الورقية والفضائية.

مها: أعلم، وهذا وصلني، ولكن لماذا؟ أفضل أن أحتفظ باسمي.

ماجد: اعتبريها نوعًا من المجاملة، وأنت جاملتِنا من قبل، ويكفي أن اسم الجمعية نابع من بنات أفكارك.. "سي السيد".

مها: فقط اسم الجمعية يا ضلالي! أنسيت أن مقالاتك المنشورة في الصحف تحمل عنوانًا ثابتًا اسمه "سي السيد".

صلاح: ليس عنوانًا ثابتًا، بل متغيرًا ومتعددًا في عناوين فرعية، فهناك "يوميات سي السيد"، و"حكايات سي السيد"، وباب كبير أسبوعي في مجلة "العاصمة الجديدة" بعنوان "بريد سي السيد"، بجانب "قضايا يناقشها سي السيد".

مها (ضاحكة): ينقصنا سلسلة محلات سي السيد للرجال، مطاعم، وملابس، وسيارات، ويبدو أنها في الطريق.

ماجد: هل هذا حسد أم غبطة؟

مها: لا هذا ولا ذاك، هذا بيزنس يا حلو أنت وهو. وأفضل ما فيكما أنكما تدفعان أولا بأول، وتضعان نصيبي في حسابي البنكي، وأنا أحب هذه النوعية.

(تتلفت حولها، وتطالع صورًا عديدة لماجد، وصور أخرى لموضوعاته)

مها (لماجد): انظر الفرق الآن بين مكتبك، وزيارتي الأولى لك منذ ثمانية أشهر، كان المكتب خاويًا، والجدران تشتكي الفاقة من الصور، والآن- باسم الله ماشاء الله- صور تشرح الصدر في البرامج والحوارات الصحفية.

صلاح: والأكثر تجدينه في موقع الجمعية على الإنترنت، كل المرئيات والصوتيات والمقالات والبريد والدراسات، وأنا سأعرض لك جزءًا من الموقع. **(يجلس على مكتب ماجد، ويتلاعب بأزرار الحاسوب، وعبر تقنية "الداتا شو" سرعان ما تظهر على شاشة مثبتة على الجدار المقابل، في مكان مخصص لشاشة العرض، صورة موقع "سي السيد"، وتظهر تباعًا المقالات والمقابلات الصحفية، في الكثير من الصحف والمجلات، ويتم تكبير الشاشة ليراها الجمهور واضحة، مع إظلام جزئي للمسرح)**

مها: (وهي تنظر للموقع، وتتذكر شيئًا) ولكنني أتعجب- ومعي كثيرون من شلل النميمة في الصحافة- من حسن الصنعة، وغزارة الإنتاج، وجودة التوزيع.

صلاح: أهذا وصف لمنتج صناعي أم صحافي؟

مها: طبعًا صحافي يا أبا الدهاء.

صلاح: أنسيتِ براعة الأستاذ ماجد الصحفية؟ وأنه رئيس تحرير سابق، وتأسست على يديه صحف عديدة، وتربت قامات مديدة.

ماجد: أنت تبالغ يا صلاح، ولكن انتبه لدلالة ما تقول مها هانم.

مها: حلوة هانم هذه.

ماجد: تتسق مع لقب سيدة الصحافة الأولى.
مها: ما ردك يا أستاذ ماجد على ما يشيعه النمامون الحاقدون؟ لأنك ستُسأل عنه في إحدى المقابلات التليفزيونية أو الصحفية.
ماجد (ببرود وثقة): ليس لي رد، وأنا دائمًا أتجاهل مثل هذه الأحقاد.
مها: التجاهل سمة العقل، وعلامة الحكمة، ولكنه لا يصلح في كل الأحوال. فقد نما إلى علمي أن هناك صحيفة ما تعد تحقيقًا عن خباياك.
صلاح (مقاطعًا): ما هي هذه الصحيفة؟ حتى نحتاط منها.
ماجد: وماذا في ذلك؟ هذا يفيدني ولا يضرني، ولا أبالي بمثل هذه الحملات الصحفية، لأنها تبيع الكلام عند صناع الكلام.
مها: بمعنى؟
ماجد: بمعنى أن الهجوم علي شيء معتاد في دنيا الصحافة، وسيدفع المزيد من القراء لمتابعة ما أكتب، ولن يجدوا في النهاية ما يدينوني به.
مها: كيف؟
ماجد: أوضحي أنت طبيعة الاتهامات التي وصلتك وأنا أرد عليك فورًا.
مها (بدهاء): مثلا يقولون إن وراءك جيش من كتّاب المقالات الذين يحررون كل ما تكتب. وقد أخذوا في ملفهم معلوماتٍ من صحفيين قد كتبوا لك.
ماجد (بثقة زائدة تنطق بخبث): وأنا أعترف بذلك، ولكن الرد يأتيكِ من صلاح.
صلاح: أنا حاضر يا ماجد بك. الرد بسيط، نتحدى أن تجدي مقالا واحدًا على غير أسلوب ماجد كسباني، كلها تسير بنفس الروح واللغة والمفردات، لأن هناك "ديسك" واحدًا يراجعها قبل إرسالها، وهو أنا.
ماجد: وأنا أضيف لك تحديًا آخر: نريد اسمًا واحدًا ممن كتبوا لي يعلن

عن نفسه، وأنتظر هذا بشوق، فكل من كتبوا لي تاريخهم معي، وأعلم بهم وبمن يكتبون لهم من كبار القوم وصغارهم. والتحدي قائم، وكما يقول المثل العربي القديم: "على نفسها جنت براقش"، فإذا فتحوا البئر فإنه سيطفح في وجوههم.

مها (بجدية): أنا أتكلم بصدق، بالفعل هناك ملف يتم إعداده. ويقولون أيضا إنك تتقاسم المكافآت مع سماسرة الصحف ووسطائها.

ماجد: وهذا حقيقي، وأنتِ واحدة من الوسطاء.

مها (بخجل): أعلم هذا، لذا خشيت على نفسي.

ماجد: لا تخشي أبدًا، من معه دليل فليخرجه.

مها: هنا لا دليل، تكفي الإشاعة.

ماجد: الإشاعة هنا غير كافية، ولا يمكن لملف صحفي أن يعتمد على الإشاعات فقط، لابد أن يكون لديهم أدلة على ذلك. ولكن اطمئني، لا دليل واحد للإدانة، فكل ما نقوم به يتم شفاهة، بالهاتف أو وفي الحسابات البنكية.

صلاح: (بنفس نبرة الخبث التي يتحدث بها ماجد) ما اسم الصحيفة التي تقوم بإعداد هذا الملف؟

مها: لا داعي، وانتظروا نشر الملف.. إن نُشِر.

صلاح: (برجاء) ممكن أن تقولي لنا؟ أنت ونحن في سفينة واحدة.

مها: سأقول اسم الصحيفة، ولكن أرجو ألا تخبروا رئيس التحرير، لأن من قال لي هو أحد المحررين الأساسيين في الصحيفة، وهو الوحيد المضطلع بهذا الملف، ولا يعرف أحد غيره بهذا الموضوع إلا رئيس التحرير.

صلاح: (يتعجلها) ما الصحيفة يا أستاذة مها؟

مها: صحيفة "الساحة".

ماجد: (ببرود شديد) عند عمرو الصاوي، رئيس التحرير؟
مها: نعم.. وأقل ما يقال فيه إنه مجرم حرب، وليس صحافيًا.
صلاح (يطأطئ رأسه): فعلا هو كذلك.
مها: وأنا بصراحة جئت اليوم بخصوص هذا الموضوع، كيف نواجهه؟
ماجد: لا تقلقي، وأنا في انتظار نشر الملف، ولن يرهبنا عمرو الصاوي أو عمرو بن كلثوم، ولو كان عنترة بن شداد نفسه سأدوس عليه بقدمي.
صلاح: فعلا لن يخيفنا فموقفنا قوي.
ماجد: وحتى أرد عليه بعشرات الأدلة.
مها: ماذا تقول فيما يأتي **(تفتح هاتفها النقال وتقرأ فيه)**، إن عنوان الملف: جمعية المتاجرة بحقوق الرجل "سي السيد". والعناوين الفرعية حسب ما وصلني: امبراطورية سي السيد (م. ك. وشركاه)، حوتُ الصحافة والفضائيات الجديد، "م. ك". اسم على مسمى، وعنوان رهيب: صحافي نشر ألف مقالة في ثمانية أشهر، وظهر في عشرات البرامج، وضيف دائم على الفضائيات، من أين الوقت لكل هذا؟ وما العبقرية التي يتصف بها حتى يكتب هذا الكم الهائل؟
ماجد: وممَ أنت خائفة؟ الكلام كله عني وأنا أرد عليهم ببساطة، نعم أنا فعلت ذلك، والذكي المجتهد يفعل مثلي.
مها: أشاروا أيضًا في ثنايا التحقيق والذي سيكون في حلقتين متتاليتين إلى صحفية ذكروا الأحرف الأولى من اسمها "م. س"، وأنها الوسيط الأول المعتمد في صحافة الخليج، وصحف بيروت وغيرها، وهذا معروف عني.
ماجد: لا تقلقي.. اطمئني تمامًا، زوبعة وتنتهي. **(ينظر لصلاح ويغير الموضوع)** اعرض لنا المقطع الذي حدثتك عنه في فضائية "الراية"، أريد أن آخذ رأي مها فيه.

مها: وماذا فيه؟

ماجد: شاهديه أولا، ثم نتناقش.

(يضغط صلاح على مقطع مرئي، غير منشور في موقع الجمعية، يظلم المسرح، حيث نشاهد ماجد يرتدي ملابس فخمة، ويجلس بمفرده مع أحد المذيعين في حوار ثنائي، وتظهر جرأة المذيع وتمرسه)

المذيع: لقد أوضحت لنا الكثير يا أستاذ ماجد عن دعوتك لعودة الرجل الشرقي واتخذت لقب "سي السيد" شعارًا لك، ولكن السؤال: هل وجدت مستجيبين لك؟

ماجد: كثيرون جدًا.

المذيع: حسنًا، ولكن دعوتك في خباياها تنادي باستخدام الضرب مع الزوجات. وهذا أدى لانتشار الظاهرة في المجتمع.

ماجد: لست مسؤولا عن الفهم الخطأ، ولا الممارسة الفردية.

المذيع: ما وسائلك تحديدًا لكي يفرض الرجل سيطرته على زوجته؟

ماجد: دعني أصحح لك السؤال: كيف يستعيد الرجل شخصيته في بيته؟

المذيع: أنا المذيع يا سيد كسباني ولست أنت.

ماجد: (باحتراف) وأنا في النهاية المجيب عن سؤالك، فسؤالك يعني أن الضرب وسيلة لابد منها، أما صياغتي المقترحة للسؤال: فتفتح المجال للتفكير في وسائل أخرى لتقوية الشخصية، منها المادي ومنها المعنوي.

المذيع: إجابة جيدة من متحدث لبق. الآن أجب عن سؤالي.

ماجد: سأعيد ما قلته قبل ثوانٍ: هناك وسائل أخرى لتقوية الشخصية، منها المادي ومنها المعنوي، وعلى الرجل أن تكون لديه تلك الثقافة.

المذيع: وما الوسائل المادية المقصودة؟ المال فقط، هناك زوجات ثريات، وأخريات موظفات برواتب، فلن يخضعن لإرهاب الرجل وتهديده المالي.

ماجد: هذا صحيح، ومن قال لك إنني أقصد المادة فقط؟ كل ما هو مادي عندي يعني: النفقة، والعلاقة الخاصة.. أو ما نسميه في الشرع الهجر، وما شابه.

المذيع: جيد.. وما المقصود بالوسائل المعنوية؟

ماجد: (متحدثًا برصانة وعلم) الوسائل المعنوية هي كل ما يتصل بشخصية الرجل، على مستوى قدرته على الحوار وإقناع زوجته بوجهة نظره، وأهمية قيادته للأسرة، وأن الطبيعة تقتضي قيام الرجل بهذا الدور، فقيادة المرأة للأسرة تعني أن العاطفة هي الحاكمة، لأن المرأة عاطفية، وأسوأ شيء أن تقاد الأسرة بالعاطفة، فإنها تعني في النهاية التقلب كل يوم، واتخاذ القرار بالشعور وليس بالعقل.

المذيع: وماذا عن الضرب؟ أنت ذكرت في مقالات عديدة لك أن الضرب مهم لتأديب الزوجة، ولاستعادة الرجل قيادته وتطويع زوجته.

ماجد: لم أقل هذا حرفيًّا.

(يخرج المذيع من ملف أمامه ورقة مجتزأة من إحدى الصحف، ويقرأ)

المذيع: هذا هو المقال، والذي يحمل عنوان: "الرجل الشرقي ابن لبيئته الثقافية" وذكرتَ فيه نصًّا: "هناك بيئات ثقافية تحتاج المرأة إلى الضرب وتراه بنفسها دلالة على رجولة زوجها، وهذه البيئات الثقافية لا يعرفها الغرب ولم يطلع عليها، أقول هذا لداعيات حقوق المرأة المتغربات، اللائي يقسن المرأة الشرقية بالمرأة الغربية، إن الضرب لا شيء فيه، بل دال على رجولة الرجل، وقدرته على تأديب زوجته، وكبح عواطفها، والرجل الشرقي ابن لبيئة ثقافية لا ترى عيبًا أبدًا في أن يضرب الرجل زوجته، ولا يحق للمرأة أن تشتكي لأهلها إذا ضربها زوجها، فمن حقه أن يؤدبها إذا كانت ناشزا". **(متوجها إلى ماجد):** ماذا أنت قائل يا سيد

كسباني في هذا الكلام الصريح؟
ماجد: فعلا هذا كلامي بالضبط، ولا خلاف عليه.
المذيع: ها أنت قد اعترفت بأهمية الضرب.
ماجد: (بثقة) ولكنك لم تسأل عن الشرط الموضوع؟
المذيع: وما هو؟
ماجد: ارجع لنهاية المقال ستجد عبارة "إذا كانت الزوجة ناشزا".
المذيع: وماذا في ذلك؟ يمكنك أن تنصحها بدلا من ضربها.
ماجد: دعني أوضح لك ما يقوله علماء الشريعة في النشوز والضرب، وأنا بالمناسبة لست عالمًا شرعيًا، حتى لا تستفتني في أمور الشرع.
المذيع: حسنًا، ماذا يقول الشرع؟
ماجد: يستند العلماء إلى قوله تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}. وإذا تأملت في هذه الآية ستجد أن الضرب مرتبط بالنشوز والعصيان، وقد وضعوا شروطا كثيرة في طريقة الضرب.
المذيع: ما هو النشوز تحديدًا؟
ماجد: حسنًا أنك سألت هذا السؤال: فالنشوز هو: مخالفة اجتماعية وأخلاقية تمتنع فيها المرأة عن أداء واجباتها، التي هي حقوق الزوج.
المذيع: ولماذا لا تعده اختلافًا بينهما أو سوء فهم أو مشكلات، لماذا مصطلح النشوز؟
ماجد: الاختلافات والمشكلات لا تمنع الزوجة عن القيام بواجباتها.
المذيع: وماذا عن الضرب؟
ماجد: ليس الضرب أن يلطمها أو يضربها بقوة، وإنما يكون ضربة خفيفة على جهة العتاب والإنكار عليها بحيث لا تترك أثرًا، ويكون ذلك

بالسواك وفرشاة الأسنان وما شابه. هكذا قال الفقهاء، وبالتالي هو تذكير فقط للمرأة وليس إيذاء لها ولا إهانة.

المذيع: ولماذا لا يصبر الرجل على زوجته حتى تعرف غلطها؟

ماجد: (موافقًا) الضرب يأتي بعد الصبر عليها. **(ينظر للمذيع ويقول)** دعني أحكي لك حكاية لعلها تفيد المشاهد، وهي بالمناسبة حكاية واقعية لمستها بنفسي.

المذيع: بإيجاز إذا سمحت.

ماجد: حسنًا. القصة تقول إن الزوجة كانت متسلطة على زوجها، وتريده مرتهنًا لأمرها، ووصل من جبروتها أنها كانت تتطاول عليه بالسباب بل وباليد أمام الأولاد، وكان الرجل يسكت ويتحمل، فلديه ثلاثة أولاد، يرغب في تعليمهم وتنشئتهم في أسرة غير مفككة، فلما وصل الابن الأخير إلى الجامعة، قام بتطليق زوجته، وأعلن لأهلها ولكل من حوله أن رسالته قد انتهت مع آخر ابن، ومن حقه أن يعيش بحرية ويستمتع بحياته. لاحظ إذن، لم يضربها، وصبر عليها وتحملها، وهذا ما تقولون أنتم به، ولكن الزوجة لم ترتدع، ولم تغير من سلوكها.

المذيع: وقد طلقها في النهاية. أين المشكلة إذن؟

ماجد: المشكلة في أنها لم تكتف بطلاقه لها، وإنما ذهبت إلى سكنه الخاص الجديد، وكان يسكن مع صديق له، وطرقت الباب ففتح لها طليقها، فأمسكته من أذنه وقالت له: لماذا لم تأت لتغيّر أنبوبة البوتاجاز؟ تخيل، هذا ما حدث، والقصة واقعية تمامًا وأشهد الله على ذلك.

المذيع: هو مخطئ لأنه سمح لها بهذا السلوك الشائن بعد الطلاق.

ماجد: صحيح كلامك، هو مخطئ قبل الطلاق وبعده، لدرجة أن صديقه نهرها وخلّص زوجها السابق من يدها وهو يقول: لا يجوز لك أن تأتي

له في سكنه الخاص، فهو ليس زوجك الآن، وعيب عليك ما تفعلينه معه وهو أبو أولادك، إنه ليس خادمًا عندك، وابحثي عمن يقوم بخدمتك.

المذيع: حسنًا ما قال.

ماجد: (بطريقته السردية الجذابة) لن تتوقع ماذا فعل الزوج؟ لقد نزل صامتًا وراءها، ونفذ المطلوب منه، وعندما عاد عاتبه صديقه بشدة، فقال له: قضيت شبابي خانعًا لها، فلم تعد تفرق معي كثيرًا في كهولتي.

المذيع: بلا شك هو أساء التصرف.

ماجد: ليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود هو تعوّده على الإهانة والخضوع لها، والأغرب أن أولاده الثلاثة خرجوا معقدين لأنهم عاشوا مع أم متجبرة وأب ضعيف. لقد جنى الزوج على نفسه وأضاع شبابه، وجنى أيضًا على أولاده وأخرجهم محملين بالعقد نحو أمهم.. بل ونحو الحياة الزوجية كلها، فلا معنى للصبر هنا.

المذيع: القصة واضحة ورسالتها كذلك. **(يواصل كلامه)** والآن يا أستاذ كسباني، جاءنا اتصال هاتفي مع داعية حقوق المرأة الدكتورة منى خالد، لتحاورك في بعض القضايا.

(إظلام، ثم إضاءة المسرح على ماجد ومها وصلاح في جلستهم)

مها: كنت رائعًا يا ماجد، فعلا امتلكت الحلقة لصالحك.

صلاح: تتحدث بثقة وإقناع وعلم.

ماجد: ليست هذه المشكلة، المشكلة في منى خالد، لقد فوجئتُ باتصالها ويبدو أنه ترتيب من إدارة القناة لإحراجي، فمعلوم من هي منى خالد.

صلاح: وأنت كفء لها، وأعتقد أنك خبرة في التعامل مع أمثالها، فلا تستمع لما قاله لك تامر زكي، وتحذيره لك منها.

ماجد: ولكنني أخذت بنصيحة تامر بشكل أو بآخر، فهي ليست سهلة.

(عودة إلى شاشة العرض ثانية، ونشاهد صورة لمنى خالد ضمن مداخلة هاتفية)

المذيع: أهلا بك د. منى، أرجو أن تكوني قد استمعتِ لكلام الأستاذ ماجد.

منى: بالفعل استمعت لكل كلامه، وأنا أتابع حواراته ومقالاته الكثيرة، ورغم اختلافي معه، فإنني معجبة بتمكنه الفكري والعلمي.

ماجد: (مبتسمًا) شكرا لك د. منى، ورأيك هذا تاج على رأسي.

المذيع: ما مداخلتك حول ما سمعته؟

منى: أتوقف عند نقطتين أصوغهما في سؤالين: الأول، ماذا أنت قائل عن الزوج ضعيف الشخصية من الأساس، ويرتضي بقيادة زوجته له، وهذا نموذج متواجد بكثرة في مجتمعاتنا العربية وأيضًا الأجنبية؟

والسؤال الثاني؛ ألا تتفق معي أن مفهوم "الرجل الشرقي" يجعل منه شخصًا ساديًّا متلذذًا بجبروته، عندما يضرب زوجته ويتطور الأمر إلى النقيض، فتستمرئ هي الإهانة والذل في كافة أحوال العلاقة الزوجية؟

المذيع (مشعلا الحلقة): حسنًا، السؤالان جوهريان وواضحان، وأتوقع اختلافًا من الأستاذ ماجد معك، خاصة أنك قلبت الطاولة عليه.

ماجد: (بحنكة) شكرًا لك د. منى، وأتفق معك فيما قلته، فالزوج ضعيف الشخصية لا حل معه، ولكن على زوجته أن تعاشره بالحسنى والاحترام، أما سادية الرجل الشرقي فهو شعور لا خلاف عليه، وبالفعل هناك زوجات يتعودن على ذلك، والفعل مرذول مدان بشكل كامل، فدعوتي تنتصر لقيادة الرجل بالحسنى في النهاية.

المذيع (مستغربًا): وماذا بعد؟

ماجد: لا شيء يا عزيزي، انتهت إجابتي، ولا خلاف بيني وبين د. منى.

المذيع: (بضيق) توقعت العكس.

ماجد: حسنًا أنني أفسدت توقعاتك.

(إظلام، ثم إضاءة المسرح على ماجد ومها وصلاح)

مها: تصرفت بشكل رائع، وأحرجت المذيع على الهواء مباشرة.

صلاح: أتفق مع مها فيما قالت.

ماجد: هناك جزء لم يذكر في الحوار، وإنما جاءني بعد انتهاء البرنامج في اتصال هاتفي من د. منى.

مها: وماذا قالت لك؟

ماجد: شكرتني على كياستي في الرد، وقالت حصلتُ على رقم هاتفك من الاستديو، وأكدت إعجابها الشديد بشخصيتي ذات الكاريزما.

مها: رائع، وأنت تستحق.

صلاح: شهادة من أهل الخبرة الإعلامية.

ماجد: وقالت أيضًا إنها تريد أن تنصحني بيني وبينها.

صلاح: وما نصيحتها؟

ماجد: قالت لي غيّر جلدك "فقد استهلكت مقولاتك"، وهناك كثيرون الآن في الساحة الإعلامية باتوا يقلدونني، ولكنها محاولات فاشلة للاستنساخ.

مها: كلام رائع.. ولكن كيف ستغير جلدك؟

ماجد: هذا هو نفس ما قلته لها، فضحكت وقالت: تاريخك الصحافي معروف للجميع، منذ الصحافة الصفراء إلى يومنا، بل ومعروف من يكتب لك، ومعروف أيضًا أنت كتبت لمن، وتعاونت مع من السياسيين والحزبيين ورجال الأعمال. لذا أنصحك أن تبحث عن طريق جديد، وتوجه جديد، فقد تشبّع سوق الكلام منك.

صلاح: ما هذه الوقاحة؟

ماجد: بل صراحة، واحترمت صراحتها، ولكنني ذكرتها بأنها مختصة فقط بحقوق المرأة، فلماذا لا تبدأ بنفسها؟

صلاح: حلو. أعطيتها صاروخ "أرض جو".

مها: وبم أجابتك؟

ماجد: قالت: ومن قال لك إنني مقتصرة على حقوق المرأة فقط؟

صلاح: وماذا قررتَ يا ماجد بك؟

ماجد: أفكر جيدًا في كلامها، فهي خبيرة محنكة، وأحاول البحث عن سبيل جديد.

مها: وماذا تخطط؟

ماجد: لا زلت أفكر.. وحتمًا سأصل لشيء.

مها: (تهم بالانصراف وتنظر بقلق لماجد) لم تقل لي ماذا ستفعل مع صحيفة "الساحة" المشؤومة؟ أنا في اضطراب وحيرة.

صلاح: لا تقلقي يا مها، وهذا ما قاله ماجد بك.

مها: أنا متوترة، وأنا في النهاية امرأة لن أتحمل مثل هذا الكلام، وأفعال التآمر.

ماجد: ولكن الملف حتمًا سينشر.

مها: (مستغربة): وكيف عرفت؟

ماجد: (بحزم) لأنني المحرض الأول على نشره.

مها: (مصدومة) أنت تسيء إليّ وإلى نفسك؟ كيف تكون المحرض الأول؟

صلاح: (مصدومًا هو الآخر) أنت فعلت ذلك يا صديق العمر؟ لماذا؟ هذا آخر شيء أتوقعه منك، أن تغدر بنا، وتضر نفسك.

ماجد: (بهدوء) عمرو الصاوي صديق قديم، ونحن أبناء "كار الصحافة"

منذ زمن، وأنا الذي زودته بكل المعلومات الشائعة عنا، واتفقت معه على إصدار هذا الملف على حلقتين، وعدم تسريب الخبر إلا لها فقط.

مها (تلطم): بعتني برخيص يا رخيص. لماذا تؤذي نفسك يا غبي وتؤذيني معك؟

ماجد: (متجاهلا إهانتها) على العكس تمامًا: أنا وأنت وصلاح رابحون، يا صديقتي القديمة منذ أيام مسرح الجامعة، ألا تذكرين مسرحية يا طالع الشجرة، وأنها كانت عبثية لا نفهمها؟

مها وصلاح: ..... !!

ماجد (بتفلسف): الحياة التي نعيشها عبثية أيضًا، فشخصية بهانة وبهادر، وأحداث المسرحية كلها ضمن فلسفة اللامعقول، وهي تشبه ما نعيشه في حياتنا، لقد اختفت بهانة عن زوجها ولم تخبره لماذا اختفت، وهو ثار عليها وخنقها ودفنها أسفل الشجرة، ولم نعلم على وجه اليقين لماذا قتلها، وعندما جاءت الشرطة وجدوا سحلية مكان الجثة، واختفت الجثة، ولا نعلم أين اختفت؟

صلاح: وما معنى ذلك كله؟ وما علاقته بما نحن فيه؟

ماجد: المعنى واضح، هناك شخصيات في الإعلام والسياسة تظهر ثم تختفي، وقد نتخيل أنها ماتت ثم نجدها تحيا من جديد، بشكل عبثي وغير مفهوم، وفي جميع الأحوال عندما نراها نتذكر ماضيها السيئ إذا كانت سيئة، ولكن نقترب منها لنستفيد إذا كانت في منصب ولدينا معها مصالح، وبل وننسى ماضيها.

مها: (ببطء) صح.. وهذا واقع.

ماجد: وأنا تحسبت لكل هذا، وأريد أن أختفي بعض الوقت، سنة أو أكثر أو أقل، أخذًا بنصيحة منى خالد، وكلام تامر زكي، ولذا قررت قبل

الاختفاء، وإلغاء جمعية سي السيد، أن أنشر على الرأي العام كل ما يقولونه همسًا عني وعنكم، وبلا سقف. ووفق المبدأ الصحفي الراسخ "حق الرد مكفول"، سأنشر ردًّا مفصلا في نفس الصحيفة أنفي فيه كل ما قيل، وأقدم أدلة على براءتي وهي سهلة، لأنني مصدر المعلومات للصحيفة، وأتحدى أن يأتوا بدليل إدانة واحد.

مها: وماذا يعني كل ذلك في النهاية؟

ماجد: يعني البراءة الكاملة، بعد المصارحة الكاملة، ونخرج جميعًا أبرياء، بدلا من الهمس والغمز واللمز الذي نسمعه هنا وهناك. **(يسكت ثم يقول)** ويعني أيضًا المزيد من الشهرة لنا، فهناك مدرسة للشهرة قوامها ابحث عن مشكلة أو فضيحة وستنال الشهرة مجانًا. **(متوجها إلى مها)** ما رأيك الآن يا مها.. هل تريدين أن تكوني معنا في الحملة أم نمحو الأحرف الأولى من اسمك؟

مها: ماذا تقول أنت يا صلاح؟

صلاح: (حاسمًا) لا أريد هذا، وأفضل أن أبتعد عن هذه اللعبة تمامًا. **(يعلل بيقين)** أحب أن أعيش في الظل، فقد قضيت حياتي كلها تابعًا، حتى لو كان الظل ملوثًا، فهذا أفضل من الخروج إلى الضوء. لا أحب العيش متوترًا، تلوك الألسنة اسمي.

مها: أما أنا فأوافق على هذه اللعبة.

ماجد: إذن، دعينا يا مها نغني معًا ونحلم أن نصعد الشجرة ونأتي بما لا يتصوره عقل.

(يغنيان معًا):

يا طالع الشجرة هات لي معاك بقره
تحلب وتسقيني بالمعلقة الصيني

ما تيّسر من المستقبل

(نفس ديكور الفصل الأول، مقر شركة الرجل الشرقي سابقًا، وحاليًا هي المكتب الخاص للإعلامي الكبير: ماجد كسباني. كما هو مسجل على لافتتها الخارجية، الجدران معلق عليها صور قليلة لماجد وهو مكتمل الأناقة، مع تغيير الأثاث، مما يشير إلى مضي سنة أو سنوات على الأحداث السابقة، ونشاهد ماجد ومها يتحاوران، قامت مها بإعداد فنجانين للقهوة وقدمت أحدهما لماجد)

مها: حتى الآن لم أفهم ما هي رسالتك الإعلامية؟

ماجد: (وهو يرتشف القهوة) وأنا أخبرتك مرات عنها، أنا شخصية إعلامية مفكرة، مستعد للتحدث في أي موضوع يُطلَب مني.

مها: وأين التخصص؟

ماجد: إنني على قدر من الثقافة والعلم، أستطيع أن أعد مسبقًا الكلام، وأعمّق نقاطه، وبالتالي لا مشكلة عندي البتة.

مها: لقد تابعت أحاديثك في الإذاعات والفضائيات، فوجدتك جاهزًا دائمًا، وتكاد تحفظ المعلومات، وأحيانًا تظهر في اليوم الواحد لتتحدث في أكثر من موضوع.

ماجد: وماذا في ذلك؟

مها: من أين تأتي بالوقت والجهد لكل ما تقوم به؟

ماجد: معي فريق عمل، وهو بالمناسبة فريقي الصحفي القديم، وهؤلاء رهن الإشارة: ترجمة، إحصاءات، أفكار، كتب موثقة، دراسات.

مها: نفس ما كنت تفعله من قبل. ما الجديد إذن؟

ماجد: الجديد ما ترينه أنت بنفسك، أتحدث في الموضوعات المستهدفة

في البرامج، وكثير من الفضائيات تبحث عن مثلي: متحدث، لبق، أنيق، مقنع، علمي، منظم، جاذب، شيق في كلامه، يستطيع أن يفجر الحلقة إذا أرادوا ذلك أو يقنع المشاهد بهدوء، بالحجة والبرهان متى خططوا لذلك.

مها: أنت تمدح ذاتك، دع هذا للآخرين.

ماجد: لا، أنا أصف ذاتي وإمكاناتي التي تميزني عن الآخرين، حتى أختار موقعي، وأجدد أفكاري، فلا أقلد أحدًا.

مها (تكمل جملته): ولا يقلدك أحد.

ماجد: بالضبط.

مها: ولكن أنت تتحدث في موضوعات متناقضة أحيانًا.

ماجد: مثل ماذا يا عزيزتي؟

مها: منذ شهرين، امتدحت النظم الديمقراطية بقوة، وأكدت أن النظام الديمقراطي هو الحل لكل مشاكلنا، للقضاء على أزمة الحريات ومهانة الناس في أوطانهم، بل هو السبيل الحقيقي للتنمية والنهضة، وكل دول العالم المتقدمة ديمقراطية.

ماجد: وهذا حقيقي بالفعل.

مها: ولكنك بالأمس فقط، امتدحت النظم الدكتاتورية بنفس القوة، وقلت إنها حافظت على حدود الأوطان، ومنعتها من التفكك والانهيار.

ماجد: وهذا حادث بالفعل.

مها (مغتاظة): ستجنني. لا أكاد أفهمك. وفي كل مرة تأتي بالمعلومات والأرقام والوقائع، وتسرد الحكايات الموثقة، كأنك خبير مطلع.

ماجد: وماذا في ذلك كله؟

مها: يا رجل، أنت.. أنت.....

ماجد: قوليها، لا مشكلة عندي، فأنا أعلم ما أفعل تحديدًا، وأعلم ما تنوين قوله.

مها (مستجمعة شجاعتها): أنت صرت تاجرًا في الفضائيات.

ماجد: نعم، هذا صحيح.

مها: تتاجر بالمبدأ وضده، والقضية ونقيضها. ماذا يقول الناس عنك؟

ماجد (سؤال رائع): وأنا سأجيب عنه بمثال سهل واضح، لو أنك أكلت كل يوم في مطعم مختلف، وكانت المحصلة أنك ذهبت خلال أشهر إلى عشرات المطاعم، فهل ستتذكرين طعمًا لأي منها؟ أو حتى تذكرين نوعية الأكل فيها وجودته؟

مها: بالطبع لا، إلا ما ندر.

ماجد: حسنًا، وأعطيك مثالا آخر: هل إذا أكلتِ في مطاعم مختلفة، تقدم أطعمة من مطابخ مختلفة، مثل المطبخ المصري، والخليجي، واللبناني، والإيطالي، والتركي، والإيراني، والياباني. هل ستذكرين أي مطعم أكلتِ فيه؟ وسؤالي عن المطعم وليس الطعام؟

مها: طبعًا لا، سأتذكر فقط أسماء المطابخ، ولا أتذكر المطاعم نفسها.

ماجد: وهذا ما أفعله أنا، بدلا من تبني قضية واحدة، مثل سي السيد والرجل الشرقي مثلا، صرتُ بلا قضية محددة، أو بالأدق منفتح على كافة القضايا، وكافة الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية.

مها: يعني بوق. **(ثم تصمت حياء)**

ماجد: نعم بوق، وأيضًا ضيف تحت الطلب On Call، وهذا ما أريده تمامًا.

مها: وكلام الناس وتقييمهم لشخصك؟

ماجد: أنا أظهر في كل الفضائيات العربية، وأيضًا الأجنبية، وغالبية

الناس في بلداننا بلا ذاكرة بعيدة، فذاكرتهم مثل ذاكرة الأسماك، تتبخر أولا بأول.

مها: كيف؟

ماجد: إن الناس يريدون من يحدّثهم عن قضايا الساعة، ويمتدح توجهات القناة أو السلطة، فيقول ما يريحهم فكريًا ونفسيًا، المهم أن يكون متحدثًا لبقًا متمكنًا، يبعث على الارتياح لينال ثقة المتفرج، ومن ثم تتعاظم نسبة المشاهدات، وتتعاظم أيضًا الإعلانات أو أوجه الدعم والتمويل للقنوات.

مها: وماذا عن المبادئ؟

ماجد: موجودة ومتوافرة، فأنا لا أقول كذبًا، بل أشرح وأبرر ما هو مطلوب مني.

مها: كيف هذا؟!

ماجد: انظري مثلا إلى موقفي من الديمقراطية، قلت مزاياها ولم أتطرق لعيوبها، لأن البرنامج كان مذاعًا على فضائية أمريكية تروّج للنظام الديمقراطي الأمريكي، وأنه أفضل الأنظمة الآن في العالم، ورأيتُ أنها الحل لبعض- أقول لبعض- أقطار عالمنا العربي.

مها: وهذا ما سمعته بالفعل.

ماجد (مواصلا شرح مثاله): وأمس، امتدحت الدكتاتورية، ورأيت أنها الوحيدة التي تحافظ على أوطان- أقول أوطانا- مزقتها الحروب الأهلية والفتن الطائفية والقبلية، والأمثلة الآن في عالمنا العربي متعددة.

إذن، أين التناقض هنا؟ المعلومات الصادقة هي الأساس، وهي ما تقنع المشاهد في النهاية، بجانب ارتياحه لوضعه القائم في وطنه، وأنه بعيد عن الحروب.

مها: جميل، أنت مقنع دائمًا. وهل ستظل على هذا النحو طيلة عمرك؟
ماجد: تقريبًا.. وسأطور من طريقتي ونهجي.
مها (بتعجب): أكثر من ذلك؟!
ماجد: أجل يا عزيزتي، فعندي طموحات عديدة وخطط في هذا الشأن.
مها: هل يمكنني أن أعرف بعضها.
ماجد: يمكنك بالطبع، لأنك مديرة أعمالي، ولابد أن تعرفي ما أفكر فيه.
مها: هذا يشرفني ويسعدني بلا شك.
ماجد: أنا أخطط، أن أكون دائمًا ضد التيار.
مها: بمعنى؟
ماجد: نفس ما فعلته في جمعية سي السيد، إنني أمشي عكس السير، وأغرد عكس المتوقع، فإذا كان الجميع ينادون بحقوق المرأة أنا أنادي بحقوق الرجل. وإذا تعاطفوا مع المرأة أنا أتعاطف مع الرجل، وهكذا، وستجدين أنصارًا لهذا الاتجاه ولنقيضه في نفس الوقت.
مها: وما الفرق إذن بين جمعيتك السابقة، وما تخطط له مستقبلا؟
ماجد: الفرق أن جمعية الرجل الشرقي كانت ضد تيار واحد، وتروج لفكر واحد، أما الجديد عندي فأنا سأكون ضد أي تيار سائد.
مها (صارخة بابتسامة): أنت مجنون.. مجنون بالفعل.
ماجد (ببرود وثقة): إنه تطوير من الخاص إلى العام، وماذا في ذلك؟
مها: أرجو إفهامي القضية.. إذا سمحت.
ماجد (وكأنه يسائل نفسه ويجيب): بدون أرجو وإذا فأنت ساعدي الأيمن الآن. **(يعلل لما يقول)** ألم نتفق أنها تجارة؟ بلى. وأن المنفعة هي الهدف؟ نعم. وأنه لابد من التطوير والتغيير بشكل دائم منعًا من التحنيط والتكلس؟ نعم. وأنه لابد من الجديد لكي نجدد أنفسنا؟ نعم.

إذن، تلك هي أفضل طريقة، أن تسبحي عكس التيار.

مها (ضاحكة): أعطني مثالا للتوضيح.

ماجد: إذا مدح الناس الفول أنا أمتدح اللحم، وإذا امتدحوا اللحم أنا أذمها، وإذا رأوا الدكتاتورية وبالا أنا أكون على النقيض منهم وأمتدح هتلر وموسوليني وصدام حسين والقذافي. وبحكم خبرتي في الإعلام المرئي، فإن معدي البرامج في الفضائيات يحتاجون دائمًا لمن يعبر عن وجهة النظر الأخرى، أو ما يسمونه الرأي الآخر، لإشعال الحلقات، بغض النظر عن توجهاته أو مواقفه السابقة. وأنا ذو تأثير وجاذبية، ومفحم في الردود، ومقنع في التعليل، ومعلوماتي متوافرة أولا بأول، وهذا ما يريده صانعو الإعلام المعاصرون.

(يردف) صدقيني، هنا شخصيات كثر يريدون الظهور والاستفادة المادية، ولكنهم يخشون أن يقولوا الضد حفاظا على مكانتهم المزعومة، أما أنا فلا مشكلة عندي.

مها: وما الثابت عندك إذن، إذا كنت ستغير من قناعاتك كل يوم، بل في اليوم الواحد، وحسب القناة والبرنامج.

ماجد: الثابت هو شخصي، ومنفعتي.

(تمت)

مسرحية
الأصنام
(قبس من قس بن ساعدة)

المشهد الأول
انتصاب الأحجار

(بقعة من الضوء- في ظلام المسرح- تُظهر شيخًا بدويًّا بملابس عربية تقليدية، يميزها عباءة غامقة، وجلباب أبيض فاتح، وغترة وعقال غليظ على رأسه، الشيخ يتحرك بهدوء بين الظلام والضوء، الظلام يوحي بالسماء ليلا، حيث النجوم اللامعة ينساب سناها فيبدد بعض الظلمة، أما بقعة الضوء فمصدرها القمر، المتراقص في السماء، ينافس النجوم ويقهرها. نشاهد ظلال الشيخ متناثرة على أرضية المسرح، وهو يقف مخاطبًا نفرًا أمامه، تبدو ظلال شخوصهم، وهيئاتهم وهم بين جلوس ووقوف، ونسمع همهماتهم وأصواتهم المتحاورة والمتداخلة، ونلاحظ كثبانًا رملية، وشجيرات، وخيامًا عن بعد)

الشيخ: ما أجمل الليلة! القمر أحال الرمال بحرًا فضيًّا، والظلام خيوطا برونزية، تارة تتلوى في عيوننا، أو تترى فتأخذنا بسوادها، أين أنت يا عنترة؟ يا من خاصمت الليل وهربت منه إلى قيظ النهار، كيف تقول؟

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباحُ منك بأمثلِ
فَيَا لَكَ مَنْ ليْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بكل مُغار الفتل شُدّت بيذبل

عجبًا من أمرك يا عنترة! أتهجو الليل؟ ليتك تدرك متعتنا، فتعطينا من نظمك ما يأخذ بلبّنا، ويثير قريحتنا، وبدلا من أن نلقي شعرًا، ننشد غناء.

الرجل 1: (مصدقًا على مقالة الشيخ) كأننا نسبح في السكون، سماء ونجوم وأقمار ورمال، ونحن في جلستنا، وقد فارقنا مضارب قبيلتنا، هم في نومهم مضطجعون، ونحن في سهرنا ضالعون.

الرجل 2: (مواصلا) والقمر يلهو معنا، غير عابئ بالبشر المنضوين تحت نوره، فقد اختصنا بالضياء كله، انظروا إليه وقد زحف على النجوم فاحتواها، وجعلها تتوسل السنا منه، وهو يأبى إلا أن تستوي تحت لوائه.

الشيخ: (حالمًا) لو مددنا البصر لرأينا "تهامة" تصافحنا، وقبائلها تنافحنا، وشعراؤها يتغنون معنا.

الرجل 3: ولما استحضرت تهامة يا شيخنا؟ وحرها متقد وريحها متئد، وجبالها تنتصب، فتراها النفوس وترتعد.

الرجل 2: ودائمًا تردد تهامة، فتقحمها في سمرنا.

الشيخ: تهامة معشوقتي، أهيم بها، وليتني ما نزلت من جبالها.

الرجل 1: أين نحن منها؟ ولم عشقتها؟

الشيخ: لو ارتقيتم جبالها لشعرتم أن الأرض تحت أقدامكم، فعلى ذراها يمكنكم معانقة القمر، واللهو بالنجوم، والاتشاح بالضياء.

الرجل 2: وماذا لو دنوت من السفح؟

الشيخ: (متنهدًا) الدنو يعني أن البحر على اتساعه ينتظرك، فلا تتوانَ عن الدنو، فما هي إلا دقائق، وتجد أمواج البحر تداعب أقدامك.

الرجل 3: هذا في السفح، فماذا لو استويت على رمالها؟

الشيخ: ستحتويك قبائلها، وستغدو بين حكمائها، فهي الصلة بين اليمن بحكمته، والحجاز بهديه.

الرجل 2: شوقتنا أكثر، وإن حارت عقولنا.

الرجل 1: كأنك تهذي بنا ولنا، أفصح يا شيخ العرب.

الرجل 3: دعك من هذا، وأخبرنا عما وجدته في تهامتك.

الشيخ: وجدت صخورها تبوح بحكايات الحكماء.

الرجل 1: كيف هذا؟

الشيخ: ألم تعوا خبر زياد بن عبيد القيسي؟

الرجال في صوت واحد: إنه من بني قيس. ما أعظم شأنهم في بلاد العرب!

الشيخ: اسمعوا خبر الرجل، لتعلموا أن قيسًا أبدعت بلسان زياد.

(يضاء جانب من المسرح، حيث نشاهد أعرابيًّا بدويًّا، يدنو من القوم الجالسين، وتتسع مساحة الضوء أكثر، فنرى بعض وجوههم، والشيخ يتوسطهم، والزائر الطارق يعلن عن نفسه)

القادم: أنا زياد بن عبيد القيسي.

الرجال (في همهمة): حياك الله أخا العرب.. ما خبرك؟

زياد: كان عشقي سببًا كي أعشق تهامة، ومعرفة سيدها.

الرجل 1: وكيف كان ذلك؟

زياد: هل سمعتم يومًا أن عقيلة أذلّت رجلا؟ كنت أنا الرجل الذليل بالعشق، حين صبوت إلى إحدى بنات الحي، شدهني جمالها، أركب لها الصعب والذلول أنشد الكسب، فلا أترك مطرحًا، أظن فيه متجرًا وربحًا، إلا وقد أتيته، أتنقل بين السهل والجبل، والجبل والسهل، حتى انحدرت إلى بلاد الشام.

الرجل 3: عجبًا، أبعدتنا عن تهامة إلى الشام؟!

زياد: (غير منتبه للسؤال) ذهبت أريد لبّة العرب، ودهماء الموسم، ومعي أثاثي، فإذا أنا بقباب منصوبة، عند شعف الجبل، فعرفت أن القوم اجتمعوا لأمر عظيم، فالقباب مجللة بالأنطاع، وإذا أنا أشاهد جزرا[1] تُنْحَر، وأخرى تساق للنحر، وإذا أنا أمام الآكلين، والحاثين للطهاة، القائلين: العجَل، العجَل.

1- ما يَصلُحُ لأَن يُذبح من الشَّاءِ.

(يصمت كأنه يعيش الحدث، ناظرًا إلى ضي القمر، مستمتعًا بالظلام)

الرجل 1: وماذا بعد أيها العاشق؟

زياد: سمعت رجلا جهوري الصوت، واقفًا على ربوة من الأرض، ينادي: يا وافد الله الغداء. وهناك آخر ينادي على مدرجة من الأرض: ألا من طعم، فليخرج للعشاء. فوالله أعجبني ما رأيت، وعزمت أن أمضي لأشاهد عميد هذا الحي، فقد علمت أنهم وافدون على أرض الشام.

الرجل 2: وماذا شاهدت يا ابن عبيد؟

زياد: وجدته جالسًا على عرش ساج[2]، وعلى رأسه عمامة سوداء تظهر من تحتها جمة فينانة[3]، وقد ائتزر بيمنة[4]، وتردى بحبرة[5]، وكأن نجم الشعرى تطلع من جبينه، وإذا بشيوخ حوله، ما يفيض أحدهم بكلمة، وإذا خوادم حواسر عن أنصاف سوقهن حوله، فأكبرت ما رأيت من هيئة الرجل.

الرجل 1: لقد شوقتنا عمن يكون هذا الرجل؟

زياد: لن تصدقوا، لقد كان هاشم بن عبد مناف.

الرجال (متعجبين): جد نبينا العظيم (صلى الله عليه وسلم).

زياد: وأي جد هو! لقد توقعت أن يكون المبعوث نفسه، فقلت له: السلام عليك يا نبي الله. فرد علي وقال: لست به، وليتني به. وأسرع القوم فأنبأوني أنه ابن عبد مناف. فقلت: هذا والله السناء والمجد.

الرجل 3 (متسائلا): أكاد ألا أصدقك أيها القيسي؛ كيف علمت بخبر المبعوث ولم يظهر خبره، ولم يكن أبوه قد وُلِدَ بعد؟

2- ساكن.

3- شعر طويل حسن.

4- برد من ملابس اليمن.

5- ثوب من الكتان مخطط، كان يصنع باليمن.

زياد (ضاحكا): ألم يصلكم أن يهود يثرب أشاعوا أننا في زمان أوشك نبيه على الظهور، وأنه سيخرج منهم ويفاخرون العرب به ويتسيدون عليهم.

الرجل 1: وهل هذا كان معلومًا في مضارب القبائل؟

الشيخ: أي والله، كان معلومًا، **(متوجهًا إلى زياد)** لم تخب فراستك يا زياد، وأنت تظن أن هاشمًا كان نبيًّا، فمن صلبه خرج محمد وشرف العرب به.

زياد: كان أهل الحكمة يرون الأصنام باطلا، والعقول محشورة في أحجارها، والقلوب أشد صلادة منها.

الشيخ: دعني أُعلمك يا زياد بشيء.

زياد: وما هو؟

الشيخ: لقد رووا خبرك مع هاشم، إلى معاوية بن أبي سفيان، وهو خليفة على من آمن بالنبي من العرب والعجم، فسمع كلامك، وتعجب من حالك، وقال: لها الله قيس! ما رأيت كلامًا أفصح من هذا، وأشهد أن قيسًا قد أخذت لباب الفصاحة.

زياد: لا معنى للفصاحة دون حكمة، والحكمة تهامية.

الرجل1: تهامية أم يمانية؟

زياد: كلاهما، فالسائر في تهامة واصل لليمن، والقادم من اليمن لابد أن يمر بتهامة، وفي تهامة الحكماء وأهل الفصاحة والدهاء.

الشيخ: حسنًا ما قلت يا زياد، **(وتطلع للقوم وقال)** تهامة فيها مكة ببطونها، وإياد بحكمائها، وثقيف ببلغائها.

الرجل 2: وكان فيهم أيضًا عمرو بن لحي.

الشيخ: لعنة الله عليه.

الرجل 3: يقال إنه كان من أهل السوس والسياسة.
زياد: إن أشق الناس من يؤتيه الله ذكاء وعطاء، ويورث قومه ضلالا.
الشيخ: كأنك يا زياد عالم بما أحدث ابن لحي في تهامة وسائر العرب.
زياد: لو أتيتَ زماننا لعلمتَ أن العرب علموا بخبر عمرو، ولكنهم خضعوا لأوثانه، فقد اشترى بطونهم، وأعمى عقولهم.
الرجل 1: وكيف كان ذلك أيها القيسي؟
زياد: عمرو بن لحي من قبيلة خزاعة، جاءوا من اليمن، ومروا بتهامة.
الرجل 2: وأين كانوا يقصدون؟
زياد: قصدوا الشام، ولكنهم ارتكنوا في مكة، وقريش- وقتها- كانت بيوتات وعشائر متفرقة، فنزلت خزاعة في ممر "الظهران"، وعينهم على مكة وكعبتها، وخزاعة سُمّوا بذلك لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر.
الشيخ (ضاحكا): ألم تأتك مقالة عون بن أيوب الأنصاري ثم الخزرجي:

فلما هبطنا بطن مــر تخزعت خزاعة منا في حلول كراكر
حمت كل واد من تهامة واحتمت بصم القنا والمرهفات البواتر

زياد: صدق عون. وقد استطاعت خزاعة القيام على خدمة البيت في مكة وسدنته، فنالت الشرف والسؤدد، وتزوج قصي بن كلاب من "حَبى"، ابنة حليل بن حبشية الخزاعي، وأنجب منها أربعة من أبنائه: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبدا.
الرجل 3 (حائرًا): قصي سمّى أولاده بعباد العزى ومناف والدار.
زياد: لا تحتر يا بني، فإن الأصنام ساعتها قد أصمَّت العقول والألباب، وقد سبق زمن قصي وصهره حليل زعيم خزاعة عمرو بن لحي.
الرجل 2: ولكن قريش من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وكانوا على الحنفية، وطافوا حول الكعبة بتعاليمها، ووفد العرب إلى مكة مقدسين لها.

زياد: كانوا.. ثم صاروا.

الرجل 1: وكيف صاروا؟

زياد (متنهدًا بحرقة): أشرفت خزاعة على البيت ثلاثمائة عام، وقيل خمسمئة، وقد ساسوا العرب فانقادوا لهم، واقتدوا بزعيمهم عمرو بن لحي.

(على الجانب الآخر من المسرح، يبزغ ضوء قوي، ونرى عمرو بن لحي طويلا مهابًا، يلبس الغالي من الثياب، وخلفه الكعبة وما حولها من بيوت، وهو واقف ينادي في بعض قومه)

عمرو: اشهدوا يا قوم، سأفقأ اليوم عين عشرين بعيرًا.

أصوات قومه: (مرحبين غير مصدقين) أنت بها ولها يا سيد خزاعة، لن تصيبك مضرة، ولن تذهب بك إلى حرّة.

وانبرى أحدهم صائحًا: قد وفّيت بقسمك، وأبررت عهدك، اليوم امتلكت عشرين ألف بعير، وها أنت تفقأ عن كل ألف عين واحد من البعير، فتمنع عنك عيون الحساد والحاقدين.

(يتمشى عمرو بن لحي وسط قومه، ونشاهد إبلا تساق قريبًا من ساحة الكعبة، حيث تفقأ عيونها، ثم تنحر للناس. إظلام تام في هذه البقعة، ثم إضاءة، ونشاهد نفس المنظر السابق: الكعبة، والحجاج حولها، ويبرز عمرو بن لحي، مرحبًا بالعرب الوافدين)

ابن لحي: مرحبًا بكم حول البيت الحرام.

أصوات: شكرا لك يا سيد خزاعة، يا أفضل من يحسن الوفادة.

ابن لحي: هل لكم في حاجة؟

أصوات: يكفي ما قمت به من كرم الضيافة.

ابن لحي: إذن، فاشهدوا وأعلموا من تركتم في رحالكم، ومن أبقيتم

في مضاربكم، ومن ستمرون بهم في عودتكم؛ هم في أمانتنا ورعايتنا.
(مخاطبًا أتباعه من خدم وعبيد) انحروا اليوم للحجيج عشرة ألف بدنة (ناقة).

(أصوات ناس مستبشرة، وهناك من يضرب طبلا، ويغني أهازيج)

ابن لحي: ليس بعد. واشهدوا أنني كسوت اليوم عشرة آلاف حاج بحلل جديدة.

صوت 1: هذا ما لم يفعله قوم من قبلك، ولا شهدت به العرب في أيامها.

صوت 2: ولم نسمع عنه فيمن سبقونا، وسيشقي بفعلك، من جاء بعدك.

ابن لحي: ليس هذا فقط، ففي كل عام ستشهدون منا أننا في كل سنة سنطعم العرب، ونحيس لكم ولهم الحيس[6] بالسمن والعسل، ونَلتُّ لكم ولهم السويق[7].

(ينحسر الضوء عن ابن لحي، ويعود إلى زياد والبدوي)

زياد: هذا ابن لحي، ماذا تتوقعون منه؟ وكيف ينظر الناس إليه؟ والناس تحكي أنه كان سيد مكة وما حولها، تهامة من سفوحها إلى بحرها.

الشيخ: لابد أن يسمعوا ويطيعوا له.

زياد: فقط أيها الأعرابي؟

الرجل 1: لقد جمع الملك والعز والكرم والثراء.

زياد: كان قوله وفعله في قومه وفي كل من تحالف معهم كالشرع المتَّبع، لعلو شرفه فيهم، ومحلّته عندهم، وكرمه عليهم.

الرجل 2: عليه لعنة الله، فقد لعن العرب كرمه، وأغمطوا نسبه، وسبوا محلته.

(يتحول الضوء إلى عمرو بن لحي، وقد استراح تحت شجرة بعد رحلة

6- تمرٌ وأَقِطٌ وسمنٌ تُخلَط وتُعجَن وتُسوَّى كالثَّريد.

7- طعام يصنع من دقيق الحنطة أو الشَّعير، سُمِّي بذلك لانسياقه في الحلْق.

طويلة على ظهور الإبل)

ابن لحي (لأتباعه): ها قد وصلنا إلى البلقاء، واقتربنا من الشام كي ننجز أمورنا، ونبحث في تجارتنا وأمور معاشنا.

تابع 1: عليك أن تستريح يا أميرنا هنا في البلقاء، قبل أن نشدّ الرحال إلى الشام، فما أطيب هواءها، وما أعذب ماءها.

تابع 2: وفيها بشر ولد عملاق.

ابن لحي: إيهٍ، سمعت عنهم، ورأيت أحدهم في قدومنا، ما أشد بنيانه، وأعظم جسمانه، لولا أني شاهدتهم بأم عيني ما صدقت ما يحكى عنهم.

تابع 2: البلقاء بلاد العماليق، وستجدهم قاطنين فيها على مقربة منا، تخشاهم القبائل لقوة بأسهم، فهم يغيرون ولا ينهزمون.

ابن لحي: من أي نسل هم؟

تابع 2: سمعت أنهم ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، أو هكذا يقال عنهم.

ابن لحي: تعال معي نتحسس أخبارهم، فليس من رأى كمن سمع.

(يتحرك ابن لحي مع تابع 2، ويبقى تابع 1، وآخرون في رحال القبيلة. إظلام ثم يعود ابن لحي، وخلفه تابعه، ومعهما ناقة عليها تمثال حجري)

تابع 1: مرحبًا يا أميرنا، قد عدتم سريعًا.

ابن لحي (منبهرًا): والله ما صدقت ما رأيت، الرجل منهم يفوق سنام الناقة طولا، تراهم في سيرهم كأنهم كثبان رمال، بل إن الواحد منهم قد يحمل الناقة بذراع واحدة، ويدفع قطيع الغنم بقدمه دون عناء.

تابع 2: هذا أجمل ما في السفر، نرى ما نسمع به. لذا هؤلاء لا ينهزمون.

تابع 1: وما الذي تحمله وقد ناءت به الناقة.

ابن لحي: رأيتهم عاكفين على أصنام فسألتهم عنها، فقالوا هذه أصنام

نعبدها، نستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا فعجبت لهم، وحدثتني نفسي أن أفعل مثلهم، ونحن أقل منهم قوة، فقلت لهم: ألا تعطوني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوني صنمًا يقال له: هُبَل، وهذا ما حملته على الناقة.

تابع 1: وهل يقبله العرب عندنا وما زال إيمانهم بالحنفية قائمًا؟

ابن لحي (بأنفة): قلوب العرب معلقة بأموالي، وعيونهم تترقب إشاراتي، وقد خبرتهم مرات، لا يتوانون عن طاعتي، وينشدون مرضاتي.

تابع 1: وأين ستضع هذا الصنم؟

ابن لحي: أفكر أن أضعه في جوف الكعبة، نتعبده، ونرجو الخير منه.

(ينحسر الضوء عن ابن لحي وأتباعه، ويعود إلى زياد والبدوي)

الشيخ: وهكذا، زاحم ابن لحي بأصنامه الحنفيةَ ديانة أبينا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وغرق العرب في الأوثان.

زياد (ضاحكا): ومرت السنون، وتحول الناس من عبادة الواحد الأحد، إلى التبرك بالأحجار، وعبادتها أيًّا كان شكلها.

الرجل 1: وكيف حدث هذا؟

زياد: كان لا يخرج من أهل مكة أي مرتحل يلتمس السفر أملا في الرزق، وبحثًا عن مواطن أكثر سعة، إلا حمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا يعبدون ما استحسنوا وأعجبهم من الحجارة، حتى خلفت ذريتهم ذلك، ونسوا التوحيد.

الشيخ: وكانوا يصنعون الأصنام من التمر أو الحلوى أو الخشب ويذلّون لها ويخضعون، ويقدمون لها الذبائح والأطعمة ويلجأون إليها ويدعونها. ويروون أن الأحجار عزّت عليهم في الوديان، فإذا لم يجدوا حجرًا جمعوا

حثية من التراب، وجاؤوا بالشاة فحلبوها عليه ثم طافوا بها.

زياد: وقد عاصرت بنفسي تلبيةً من نسك هبل: "لبيك اللهم لبيك. إننا لقاح، حرمتنا على أسنة الرماح، يحسدنا الناس على النجاح".

الرجل 1: سمعنا من أجدادنا أن "هبل" كان أعظم أصنام قريش، وكانت تلوذ به وتتوسل إليه ليمنَ عليها بالبركة والخير، ويدفع عنها الأذى والشر.

الرجل 2: وهو المقدم والمعظم عندها على الجميع، وقد نُصب على الجب الذي يقال له "الأخسف"، وكان بئرًا في مكة، والعرب أسمته "الأخشف"، ويبدو أنهم أخرجوه من جوف الكعبة إلى خارجها، ولما كُسرت ذراعه، أبدلوها بذراع ذهبية.

الرجل 3: مات ابن لحي الخزاعي، ولم تستطع خزاعة أن تعدد مفخرة من مفاخره، بعدما تشبعت القلوب بهدي الإسلام، أما الأحجار المنتصبة فقد أحالتها معاول فاتحي مكة إلى ثرى تذروه الرياح.

(يتثاءب الرجل الثاني، ويتطلع إلى السماء)

الرجل 2: تجاوزنا الليل إلى منتصفه، فلنمض إلى خيامنا نختطف سويعات قبل أن يأتنا آذان الفجر، فإذا أزف النعاس فلا سلطان يعلو عليه.

الشيخ: اذهبوا أنتم، أما أنا فسأخلد إلى نفسي، أسترجع أشعار قومي، فالنجوم يقظى تبدد الظلمة حولي، وتؤنس وحشتي إلى أن تغرد طيور الفجر، معلنة رحيل القمر واستيقاظ الشمس.

الفصل الثاني
انتكاس الأحجار

(نفس المشهد السابق: الليل والنجوم والقمر، الشيخ البدوي، ومن معه، ما بين مضطجع وقاعد، والشيخ يردد أبياتًا شعرية)

الشيخ: لله درُّ القائل

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنِّي لا محالة حيث صار القوم صائر

الرجل1: كأني بك يا شيخنا تستحضر الموت.

الشيخ: بل أستحضر الحياة.

الرجل 2: وكيف تكون الحياة وأنت تذكر الذاهبين والموت؟

الشيخ: إذا تأملت في الموت ستجده منبع الحكمة، فإذا أدركت أنك ميت لا محالة، فكن ذكيا واغتنم الحياة، وإذا علمت أن الحياة بعد الموت واقعة، فكن فطنًا واعمل لها، فأنت صائر لما صاروا إليه.

الرجل 3: (ضاحكا) هكذا يقول من شاب شعره، ووهن عظمه، وبات يعدّ أيامه، ولا يريد أن يضيعها في نوم أو شجار.

الشيخ: (مبتسمًا) ليس كل من اشتعل رأسه بالبياض حكيمًا. كذا، ليس كل شاب نزقًا، فالحكمة لا تعرف سنًّا، وإنما تعرف متواضعًا مستفيدًا أو متكبرًا معرضًا.

الرجل 2: كأنك يا شيخنا تستحضر قسًّا بن ساعدة الإيادي؟ فهو الذي

ترنم بهذه الأبيات، ولعلها ما تبقى من شعره، يردده العرب.

الشيخ: ما أعظمك يا بن ساعدة! وما أرجح عقلك! وما أصدق قلبك! وما أشد إيمانك! وأعظم بقبيلتك!

الرجل 2: نراك تمدح ابن ساعدة وقبيلته، فماذا في بني إياد؟

الشيخ: هم يمانيون من قحطان والحكمة يمانية.

الرجل 1: وهناك من عدّوهم من أهل العراق لأنهم عاشوا بالقرب من الفرات.

الشيخ: لن أنازعك في نسبهم، ولكنني سأنازعكم في حكمتهم، فالنسب مختلف فيه، والحكمة والجود متفق عليهما، وأضف معهما: النصرة لمن استنجد بهم.

الرجل 2: كيف بجودهم؟

الشيخ: (متذكرًا) هل سمعتم يومًا والدًا يرثي ابنه؟

الرجل 3: قليل.. وربما نادر.

الشيخ: هذا ما فعله والد كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة بن سلولة الإيادي.

الرجل1: شوقتنا أن نعرف خبره.

الشيخ: وكم أنا مشتاق مثلكم له، فخبره على الألسنة غير منقطع، وهو سيد قومه، ونسابتهم، والأعلم بشعرهم وأيامهم.

(يبزغ ضوء على رجل من أهل البادية، إنه مامة الإيادي، الذي يأتي حاملا التاريخ معه، كما يبدو في لحيته الكثة وشعره المنسدل)

الشيخ: أهلا يا شيخ بني إياد.. مرحبا يا مامة.

مامة: (غير منتبه للترحيب فقد تمتم قائلا) رحمك الله يا كعب. **(وأنشد):**

أوفى على المـاء كعبٌ ثم قيل له رِدْ كَعْب، إنك ورَّادٌ، فما وردا

ما كان أسقى لنا جود على ظمأ خمرًا بماء إذا نجـودها بردا

من ابن مامة كعبٍ ثـم عيَّ بـه زوُّ المنـيـة إلا حــرة وقــدا

الرجل 2: كأنك ترثي ابنا لك يا مامة.

مامة: وسأظل أرثيه، وأذيع أبياتًا، من ترنم بها رثاه، وترحم عليه.

الشيخ البدوي: لما لا تسمعنا خبره من فِيك، رغم أنني سمعته مرات ومرات من الرواة، وشتان ما بين الراوية وصاحب الفاجعة.

مامة: نعم أنا صاحب فاجعة، ولولا أن ربط الله فؤادي بالإيمان، لتفطر قلبي، وتناثر أشلاء.

مامة: (يتنهد، ثم يحكي كأنه يقصّها للمرة الأولى، متغافلا عن الجمع، ناظرًا إلى الفضاء كأنه يرجو رحمة ربه، بصوت جامع ما بين التهدج والرزانة) لقد خرج فتيان من قبيلتنا "بني إياد"، من منازلهم، وعلى رأسهم ابني الفتى كعب، خيرة شباب القبيلة، قاصدين الارتحال.

(يضاء جانب من المسرح، ونرى فيه الفتيان ومعهم كعب الشاب، وقد امتقعت وجوههم وجفت شفاههم، وذبلت أعينهم، وبانت شدة الإجهاد عليهم، وفي البقعة الثانية يقف مامة راويًا).

كعب: (متوجهًا إلى رفاقه) أيها الفتيان، لقد أوغلنا في البادية، وابتعدنا كثيرًا عن ديارنا، ويبدو أننا فقدنا الطريق، فعلينا أن نقتصد في الماء.

رفيق 1: وهل سنظل سائرين بلا هدى؟

رفيق 2: لابد أن نحدد وجهة لنا وإلا ابتلعتنا الرمال.

كعب: لا، علينا أن نحدد وجهة لنا، وأرى أن نتجه أولا إلى موطن به آبار وعيون، فإن الماء معنا قليل.

رفيق 3: بل شحيح يا كعب، يكاد يكون قطرات.

كعب: مادام الماء شحيحًا، فلنجمع ما بأوعيتنا من ماء، ولنقتسمه بالسوية، لئلا يكون مع أحد أقل من الذي مع غيره.

رفيق 2: ما معنا يكفينا ليوم.. أو يوم وليلة.

كعب: (مفكرًا) نطرح في الإناء حصاة ثم يُصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة، فيشرب كل واحد منه بقدر ما يشرب الآخر.

(أفرغوا ما في قربهم من ماء في قرب على عددهم، ووضع كل واحد في كوبه حصاة، وصبوا قطرات فيه، ارتشفوها ببطء، عدا كعب، آثر أن يقطر قطرات في فمه)

رفيق 1: اشرب يا كعب، سنصل للماء قريبًا.

كعب: سأدخر نصيبي، فلا نأمن الطريق.

مامة: (يرتفع صوته مواصلا الرواية) وساروا، وبينما وهم في الطريق صادفهم أعرابي يعاني من تلظي القيظ به، وقد وجد فيهم ضالته فأسرع إليهم، عاقدًا الأمل عليهم.

الأعرابي: السلام عليكم يا إخوتي؟

الرفاق في صوت واحد: وعليك السلام يا أخا العرب؟

رفيق 2: من أي قبيلة أنت؟

الأعرابي: أنا من بني النمر بن قاسط. وأنتم من أين؟

الرفاق: مرحبًا بك، نحن من بني إياد.

الأعرابي: نعم القبيلة نسبًا وخلقًا وكرمًا. إلى أين أنتم سائرون؟

كعب: نبحث عن عين ماء، فقد ضللنا الطريق.

الأعرابي: يمكنني أن أرشدكم لبئر قريبة، إنها على مسافة يومين.

رفيق 3: يومان.. يا له من وقت طويل عصيب، كأنه دهر.

رفيق 1: إننا نعد اللحظات، ونستثقل السويعات، ونستحلف الشمس أن تسرع في دورانها.

الأعرابي: وأنا مثلكم، غير أنكم جماعة وأنا واحد.

كعب: بل أنت واحد منا، وكلنا أنت.

الأعرابي: (ناظرًا إلى سقاء كعب) أرى معكم ماء، هلا أكرمتموني بجرعات.

(الرفاق ينظرون لبعضهم بقلق، فيما يسرع كعب بإبراز سقائه، والرفاق ينظرون إليه بعتاب)

رفيق 1: إن ما معك من ماء هو آخر ما لدينا يا كعب، ونحن شربنا، وأنت امتنعت عن الشرب، فهذا حقك.

كعب: لا بأس، خذ واشرب، على الرحب والسعة يا أخا العرب، حق الضيف مقدم على حق النفس.

رفيق 3: يا كعب، أنت عطِشٌ مثله.

كعب: أستطيع أن أحتمل.

الأعرابي: (بلهفة وهو يرتشف) أكرمك الله ويسّر حالك، جميلك لن أنساه.

(أمسك الأعرابي بالكوب، وشرب ما توافر به)

صوت مامة (راويًا): أدرك كعب أن موقفه من هذا النمري هو الموقف الذي اعتاده العربي؛ أن يشتري فيه فضيلةَ الإيثار، ولو بالحياة كلها، حتى لو كانت حياةَ أمير نبيل، وصاحب شرف أثيل؛ لقد برهن على كريم معدنه، وأصالة شرفه؛ فآثر النمري ببقية الماء، التي لم يبق غيرها مع القوم جميعًا في تلك المفازة، ورضيَ لنفسه أن يواجه الموت ظمأً.

وهكذا سار الرفاق، يتكئون على بعضهم، يتعلقون بالأمل ليهزموا به الزمن، وقد يكون الزمن سياطا تلسع البدن.

رفيق 2: (يتوقف ممسكا قدمه، نافثًا سخونة العطش من جوفه) ما هذا يا قوم؟ الشمس تُغلي رؤوسنا وأجسادنا نهارًا، وتمتص ما بها من ماء، حتى العرق لم يعد يقطر من مسامنا.

كعب: (وقد بدا شديد الإنهاك والعطش، فسقط على الأرض) أرى أن تواصلوا أنتم وتبقوني هنا، فلم يعد في جوفي إلا نيران العطش، وأصبح زفيري كهواء الهجير، وبدت الدنيا بعيدة والآخرة قريبة.

رفيق 1 (بحنق): اصبر يا كعب، لقد أوشكنا على الوصول، أهكذا جزاء

الإحسان والصبر؟

الأعرابي: نعم، إن البئر قريبة، والماء هناك وفير، وحول البئر شجيرات وعشيبات، سننعم بخضرتها، ونستمتع بالاضطجاعة فيها.

كعب: (وهو يتمدد على الأرض) أنت تصف الجنة، ويبدو أنها عن مقربة أكثر من البئر، أبلغوا السلام لأهلي، وقولوا لهم إنني أحبهم قدر حبي للماء والحياة.

(يحاول الرفاق استنطاقه، ولكنه كان في نزعه الأخير، حيث ينتفض جسده، ويفتح فمه، ويرتل الشهادة، مبتسمًا، راضيًا)

الرفاق (باكون): رحمك الله يا كعب، يا بن مامة الإيادي، رحمك الله يا زينة شباب الحي، جعلت الكرم عنوانك حيًّا وميتًا.

الرفيق 1: هل سنتركه هنا للجوارح والسباع؟

الرفيق 2: ندفنه، ونحتاط ألا يهتدي لقبره سبع أو صقر.

الرفيق 3: (متفكرًا) نضع خيمة صغيرة على قبره، فربما تهتدي السباع له، وتحفر قبره.

مامة الإيادي (باكيًا): لا أقول إلا ما يرضي ربنا، إنه قدر المولى، ونحن راضون به، مات ابني، وحتمًا كان سيموت، إن كان في شبابه أو شيبته، وبقي ذكره على الألسنة عطرًا، وخبره في الكتب نقلا.

الرجل 3: هكذا حياة البادية، قطرات الماء تساوي الثروة والجاه والعز.

الرجل 2: بل تساوي العمر كله، ففي البادية من ملك الماء ملك الحياة.

(ينظر الشيخ البدوي إلى مامة الإيادي، وقد هدأ روعه قليلا)

الشيخ: يا مامة، لا نريد أن نجدد حزنك على ولدك.

مامة: الحزن ترياقه الملاذ برب الخلق.

الشيخ: أنت شيخ الإياديين، نريد بعضًا من أخبارهم.. لنستزيد من حكمتهم.

مامة (مسترجعًا): إياد فخر كلها.

الشيخ (متفكرًا): ما دمت قد حضرت يا مامة، فعليك أن تقص علينا المزيد من أخبار قس بن ساعدة القائل:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

الرجل1: يا سيد الإياديين، إن شيخنا هذا، دائمًا يترنم بأبيات ابن ساعدة.

مامة (مبتسمًا للشيخ): تركت شعراء العرب، واقتصرت على القليل من الشعر لابن ساعدة.

الشيخ: وماذا في ذلك، إنني أحبه رغم أنني لم أره، أحبه رغم أن أخباره نادرة، أحبه لأنه امتلك عقلا أسقط الأصنام، قبل أن يعلن نبينا دعوته.

مامة: صدقت قلبًا ولسانًا. لقد غرّد قس عن رب الكون وحيدًا، عندما كان العرب يحتفون عابدين بالأحجار التي شكلتها أيديهم، فصارت عقولهم شبيهة لصلادتها.

الشيخ: لك الله يا قس بن ساعدة، يا مَن أحبّك رسولنا محمد؟ **(يواصل مسترجعًا)** ولا زلت أتذكر ما تناقله رواتنا عن رسولنا (صلى الله عليه وسلم): "رحم الله قسًّا، إنه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم".

مامة: لقد قال هذا لـ "بكر بن وائل" عندما سأله في فتح مكة: "ما فعل حليف لكم يقال له قس بن ساعدة الإيادي؟ **(يردف)** إننا في إياد، إذا بدأنا فخرنا بدأنا بقس، وإذا ختمناه ختمناه بقس، وإذا تغنى شعراؤنا استحضروا قسًّا، وإذا هزجت نساؤنا هزجن بقس، وإذا قصصن الحكمة لأطفالهن حكين عن قس.

الرجال حوله: لقد شوقتنا إليه، ليتنا لحقنا عليه، واستمعنا لما قال.

مامة: وأنا معكم، أشتاق له.

(يبزغ من الظلام شخص قس بن ساعدة، يأتي متمهلا، لحيته شهباء، مهاب الطلعة، يقترب من الحضور)

مامة: أهلا بحكيم بني إياد.
قس: (متأملاً مخاطبَه) من أنت؟
مامة: أنا مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي.
قس: أنت من بني قومي.. إياد قبيلة الحكمة.
مامة: كم رددنا الكثير من خطبك، بعدما أعزنا الله بإيمانه.
قس: (ناظرا للباقين) وأنتم؟
الحضور: من أبناء العرب والقبائل، نروي عنك.
قس: وماذا تروون عني؟
مامة: نروي خطبتك التي عددنا كلماتها عدًّا، كلما أعدناها:
"أين الآباء والأجداد؟ وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيد، وزخرف ونجد؟ أين من بغى وطغى، وجمع فأوعى، وقال أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأطول منكم آجالا؟ طحنهم الثرى بكلكله، ومزقهم الدهر بتطاوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية. كلا بل هو الله الواحد المعبود".
مامة (مواصلا): أنت بحق حكيم إياد وزعيمها.
قس (مستفهمًا): تقول زعيمًا؟ ألا زلت زعيمًا عليكم، وقد تناوب بعدي على إمارة القبيلة ومشيختها الكثيرون؟
مامة: صحيح قد تتابع الكثيرون عليها، إلا أن العقلاء فيهم يستحضرون دومًا خطبك وأقوالك، ويسترشدون بحكمتك، ولا حديث عن الجهلاء.
قس: الحمد لله الذي أحيا ذكري بعد هجري للدنيا.
الشيخ: يا حكيم إياد، أخبرنا بالله عليك، لماذا توكأت على عصا، وكنت أول من فعل ذلك قاطبة في العرب.
قس (مبتسمًا): توكأت على سيف أو عصا لأن السن قد لحقني، والناس في شوق لسماعي، فإذا كنت على راحلتي فأنا مستريح عليها، أما إذا ترجلت

عنها فإنني أحتاج إلى ما أستند إليه.

مامة (مؤكدًا): وبهذا دافعنا عنك، خاصة أنك عمّرتَ، وصرتَ من أشهر المعمرين العرب، فليس توكؤك على العصا تعظّما، وإنما عذرًا للسن.

قس (مقسمًا): والله ما أردت أن أعظم نفسي ولا أختال عمن يسمعني.

الرجل 1: ولكن الخطباء، وإن كانوا شبابًا، اتكأوا واختالوا على الناس، وانظر إلى حديثهم، تجده تافهًا مكرورًا.

قس: الحمقى هم المقلدون دون تفكّر، أما النجباء فهم المتسائلون لما ورثوه، فإن اقتنعوا به فعلوه، وإن استحقروه تركوه.

الرجل2: ولماذا تركت ما درج عليه خطباء العرب في خطبهم، وقلت "أما بعد"؟

قس (مسترجعًا): كنت أحضر أسواق العرب وأنديتهم وساحاتهم، فأسمع للشعراء والخطباء، فأجد الشعراء يوجزون اللفظ، والخطباء يطيلون الكلام ويستهلون خطبهم بالإمعان في الإسجاع، حتى إذا دنوا من موضوع خطبتهم، ومتن مقصدهم، يكون السامعون قد شردوا عنهم، أو اختلط عليهم الاستهلال والمقصد، فعزمت في نفسي أن أوجز في مقدمة خطبتي، وأنبه الشارد إلى مرادي ومقصدي، فأسعفني القول بذكر "أما بعد".

مامة: وسرعان ما طار خبرك إلى القبائل، فدرج الخطباء على فعلتك.

الشيخ: لقد كنت يا قس سببًا في صرف الناس عن الشعراء، وإقبالهم على الخطباء، وهكذا حكى الرواة لنا.

قس (متعجبًا): لقد أقبل الناس عليّ، ولكنهم لم ينصرفوا عن الشعر!

الشيخ: كان الشاعر قبل زمانك يُقدَّم على الخطيب، لفرط حاجة القبائل إلى الشعر الذي كان يقيد مآثرهم، ويُفخّم شأنهم، ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوّف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم من القبائل فيراقب شاعرهم.

قس: لقد أصبت والله، وهكذا جعلت القبائل الشاعر في ميزان الفارس، بل قدّموا الشاعر على الفارس، فشعره أبقى أثرًا، وكلماته أبعد خبرًا.

الشيخ (مواصلا فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة، ورحلوا إلى السوقة، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر.

الرجل1: وسمعنا من قال إن الشعر وضع مِن قدر رجل كالنابغة الذبياني ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة.

قس: أصبت مرة ثانية، فإن الخطباء على قلتهم، كانوا ينطقون الحكمة، ويعدلون في الكلمة، وابتعدوا عن رياء الأمراء، وتركوا كل هجاء.

الشيخ: لذا، قال الرواة "الشعر أدنى مروءة السري، وأسرى مروءة الدني".

قس: يا إلهي! قالوا هذا؟ لذا زهدت في الشعر، وإن أفلتت من خاطري أبيات، وقد جعلت الخطبة سبيلا لي، فأوجزت في كلماتها، لعل الأسماع تحفظها، وتعي حكمتها، فلست بتاجر يتكسّب، ولا فتّانًا يؤلّب.

الرجل1: لكن دعني أخبرك يا قس أن الشعراء وضعوك في مصاف الحكماء، فأضاء اسمك قصائدهم، وجعلوك علامة على مدحهم ذوي العقل والحنكة، انظر إلى قول الأعشى:

وأحلم من قـس وأجرى من الـذي بذي الغيل من خفان أصبح حادرًا

الرجل2: أما الحطيئة فهو يستهدي بك، فينشد:

وأقول من قس وأمضى كما مضى من الرمح إن مس النفوس نكالها

الرجل1: ولبيد الشاعر الحكيم يقول عنك:

وأخلفُ قـسًا ليتني ولعلني وأعيا على لقمان حكم التدبر

قس (متأثرًا بالإطراء): إذا كان لي من رأي، فإن تلك نعمة منّها الله عليّ، فلا جهد لبشر في نور قذفه الله في قلوبنا.

الشيخ: دعني أستسفر منك عن أمر يا حكيم العرب. لقد كنت تكرر

القول في كل محفل حضرته، وسوق شهدته أن هناك نبيًّا قد أظل زمانه. كيف عرفت به؟

قس: لست أنا وحدي من عرفت به، لقد كان الموحدون من العرب يقولون به.

الشيخ: لعلهم عرفوه من يهود! وقد أخبرنا زياد بن عبيد القيسي بهذا، وكان هاشم ابن عبد مناف يعيه.

قس: ربما، ولكنني أدركته بعدَ نظر في عقائد الناس.

مامة: كيف ذلك؟

قس: نظرت إلى ما يؤمن به الناس في زماني، فوجدتهم ضائعين بين شرك بالله، وعبادة أوثان صنعوها بأيديهم، والقليل من آمن منهم بعقائد السابقين، وقد عاشرت رهبان المسيحية وناظرت أحبار اليهود، وجادلت المجوس، وزرت بلاط قيصر ومن فيه من فلاسفة، فتفكرت كثيرًا، ووجدت أن الله سيرسل نبيًّا من لدنه، يهدي الناس، ويحسم المراء حول ما يعبدون. كما عرفت الخط المكتوب، فعكفت على كل ما وقع في يدي من كتاب مسطور.

الرجل 1: ولماذا لم تؤمن بأي ديانة مما عرفت؟

قس (متعجبًا): لقد آمنت بالله تعالى، الخالق الواحد.

الشيخ: لله درّك وأنت القائل: "كلا بل هو إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وإليه المآب غدا".

قس: نعم قلت هذا، ورددته مرات ومرات، لعل القلوب تتعظ فلا تشرك بالله، ولا تتخذ من دونه أحجارًا وأنواءً.

الشيخ: هذا نفس ما ردده المبعوث فينا "محمد"، من الوحي الذي أُنزِل عليه، فكان قوله سبحانه واصفًا ذاته العلية: "لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد".

الرجل1: قالوا إنك آمنت بالنصرانية، وكنت أسقفًا لنجران.
قس: لقد زرت نجران، والتقيت بقساوسة كنيستها، وسمعت منهم، ولكنني لم أومن بالنصرانية، مثلما لم أومن باليهودية، لقد آمنت بالله الواحد الأحد.
الرجل 2 (حائرًا): وكيف اهتديت؟
قس: الهداية متاحة لكل نفس، ولكن أين النفوس الباحثة عن الحكمة؟ لقد علمت أن اليهودية والمسيحية أصلهما إبراهيم عليه السلام، فنقبت عن الحنيفية، فوجدت آثارها متناثرة، مترسخة في القلوب، تتناقلها الشفاه، فجمعتها في خافقي، وأضاء الله بصيرتي، وعرفت التوحيد الخالص منها.
مامة: إذن، أنت من القلائل الذين آمنوا بالحنيفية، وأذَعْتَ بها بين العرب.
الشيخ: وقد أخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عنك بأنك من الحنفاء، فقد قال: "رحم الله قسًا! إنه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم".
قس: نعم آمنت بها عن بحث ويقين، وليس عن تقليد واتباع، الحنيفية هي معتقد العرب الذي أراد عمرو بن لحي محوه.
الرجل 2: تقصد عندما نصب الأصنام؟
قس: نعم، نصبها ابن لحي، وما أسوأ اجتماع الناس على زعيم، يقلب قلوبهم بماله وذبائحه، ثم يحرّف عقيدتهم بأنصابه وأزلامه.
مامة: لذا، فقد بشّرك رسولنا بقوله "يرحم الله قسًّا أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده".
قس (منتبهًا): كيف؟
الرجل 2: إنها بشارة لكل الموحّدين.
مامة: وستبعث أمة وحدك، لأنك تحديت عقائد العرب وأنذرتهم بعاقبة غيّهم، فقد كنت وحيدًا في الجزيرة بتوحيدك، وسيكرمك الله في آخرتك، ويبعثك وحدك، تساوي أمة بأكملها، فلك الحكمة والهدى في الدنيا،

ومثوبة الصالحين في الآخرة.

الشيخ (موضحًا): لقد كنت في زمان على وشك ظهور النبي الذي بشّرت به الكتب السابقة، وظهر النبي، وكان من سلالة هاشم بن عبد مناف، إنه حفيد ابنه عبد المطلب.

قس: أكان قرشيًّا؟

مامة: كان قرشيًّا، ورآك قبل بعثته وأنت في سوق عكاظ تخطب في الناس.

قس: يا الله.. سبحانك!

الشيخ: جاء محمد داعيًا بالحنيفية الإبراهيمية السمحاء، فآمنت به العرب، وفي فتح مكة جاءه (صلى الله عليه وسلم) وفد إياد، سُرّ بقدومهم وسألهم عنك فقالوا مات يا رسول الله. فقال رسول الله: مهما نسيت فلن أنساه بسوق عكاظ واقفًا على جمل أحمر يخطب الناس.

قس: نعم، أتذكر هذا المشهد، كان الناس منشغلين بالشعراء والأشعار في عكاظ، فلما جئتهم على جملي تنادوا فيما بينهم واجتمعوا حولي، فجعلت أخطب فيهم، أذكّرهم بالموت، وعمل الصالحات، وكلٌ يستطيع أن يهتدي بها بفطرته. **(يتوقف هنيهة، ثم يعتدل في وقفته، مستحضرًا مقالته في سوق عكاظ)** "أيها الناس، اسمعوا وعوا، وإذا سمعتم شيئًا فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت. إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعبرًا. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا؟ تبًّا لأرباب الغفلة والأمم الخالية والقرون الماضية".

(أصوات الحضور مهللة، مثنية على خطبته)

قس: هل قلتم فتح مكة؟ ماذا عن الأصنام المنتصبة فيها؟

الرجل 2: لقد حطمها الموحّدون من عليائها، وجعلوها ترابًا تذروه الرياح.

قس: الحمد لله الذي جعل من أصلابنا من يزيل سفه أبنائنا.
الشيخ: لقد سأل رسولُنا وفد إياد القادم إليه، عما تركته من وصية.
قس: أشهدكم أنني امتلكت الحكمة وأورثتها أبنائي وقومي في كلمات.
الشيخ (حاكيًا): وقد أجابوا رسولنا بأنك تركت أبياتًا تقول فيها:

يا ناعي الموت والملحود في جدثٍ عليهم من بقايا قولهم خرقُ
دعهم فإن لهم يومًا يصاح بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم أرقوا

(يصمت الشيخ، فقد رأى قسًّا يهز رأسه، ويترنم معه بالأبيات)
قس (مكملا إلقاء الأبيات بشاعرية وتأثر):

حتى يعودوا بحال غير حالهم خلقًا جديدًا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

(يضعف صوت قس، ومن ثم يختفي، ويتبعه مامة الإيادي)
الشيخ (متأملا السماء): القمر يشتد ضوؤه، عجبًا لحاله، بالأمس كان محاقًا واليوم يتمم استدارته، ويغرق الكون بضيائه.
الرجل1: والنجوم لا تكتفي بالتلألؤ، فتنافس القمر.
الرجل2 : كأن القمر يلاقي النجوم في بحر من الضياء.
(النور يشتد، ويغمر المسرح)

عن الكاتب

- د. مصطفى عطية جمعة.
- قاص وروائي ومسرحي وناقد أدبي.
- أكاديمي وباحث في قضايا الفكر والأدب والفنون والإسلاميات.

صدر له:

1) وجوه للحياة، مجموعة قصصية، نصوص 90، القاهرة، 1997م.
2) نثيرات الذاكرة، الجائزة الأولى في الرواية، دار سعاد الصباح، القاهرة/ الكويت، 1999م.
3) دلالة الزمن في السرد الروائي، نقد، جائزة النقد الأدبي، الشارقة، 2001.
4) شرنقة الحلم الأصفر، رواية، الجائزة الثانية في الرواية عن نادي القصة المصري، 2002، نشر: مركز الحضارة العربية 2003م.
5) طفح القيح، مجموعة قصصية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2005م .
6) أشكال السرد في القرن الرابع الهجري، نقد، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006م.
7) أمطار رمادية، مسرحية، مركز الحضارة العربية بالقاهرة، 2007م.
8) هيكل سليمان (إسلاميات)، دار الفاروق للنشر، القاهرة، 2008م.
9) ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2010.
10) نتوءات قوس قزح، رواية، سندباد للنشر، القاهرة 2010.
11) اللحمة والسداة، نقد أدبي، سندباد للنشر، القاهرة 2010.
12) الرحمة المهداة، خلق الرحمة في شخصية الرسول (ص)، إسلاميات، مركز الإعلام العربي، القاهرة 2011م.

14) مقيم شعائر النظام، مسرحيات، دار الأدهم للنشر، القاهرة 2012م.
15) قطر الندى، مجموعة قصصية، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة 2013م.
16) رواد فضاء الغد، قصص أطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت، 2014م.
17) لكل جواب قصة، مسرحيات للأطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت 2014م.
18) الظلال والأصداء، نقد أدبي، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، 2015م
19) الحوار في السيرة النبوية، إسلاميات، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، 2015م
21) شعرية الفضاء الإلكتروني في ضوء ما بعد الحداثة، نقد أدبي، دار شمس، القاهرة 2016م.
22) الإسلام والتنمية المستدامة، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، 2016م.
23) الوعي والسرد، نقد، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، 2016م.
24) سوق الكلام، مسرحيات، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، 2016م.
25) السرد في التراث العربي (رؤية جمالية معرفية حضارية)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2017م.

المحتويات

مونودراما بنت الجزار 4
على واحدة ونصف 16
سوق الكلام 70
قبس من قس بن ساعدة 136

@ حقوق الطبع محفوظة
دار النسيم للنشر والتوزيع